وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة د. الطاهر مولاي – سعيدة

كلية العلوم الاجتماعية والانسانية

شعبة التاريخ

قسم العلوم الانسانية

تخصص: تاريخ وحضارة المغرب الاسلامي

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر الموسومة بـــ:

الصلات الحضارية بين المغرب الأوسط وبلاد الشام في العهد الزياني

ق 7 – 9 هـ/ 13–15 م

إعـــداد الطالبتين:

*- رمضاني سعاد

*- مبخوث زهرة

تحت اشراف :

د - شباب عبد الكريم

لجنة المناقشة

الاستاذ د. بوحسون عبد القادر رئيسا ومناقشا

الاستاذ د. شباب عبد الكريم مؤطرا

الاستاذ قدوري عبد الرحمن مناقشا

السنة الجامعية:

2016/2015م- 1437-1436ه

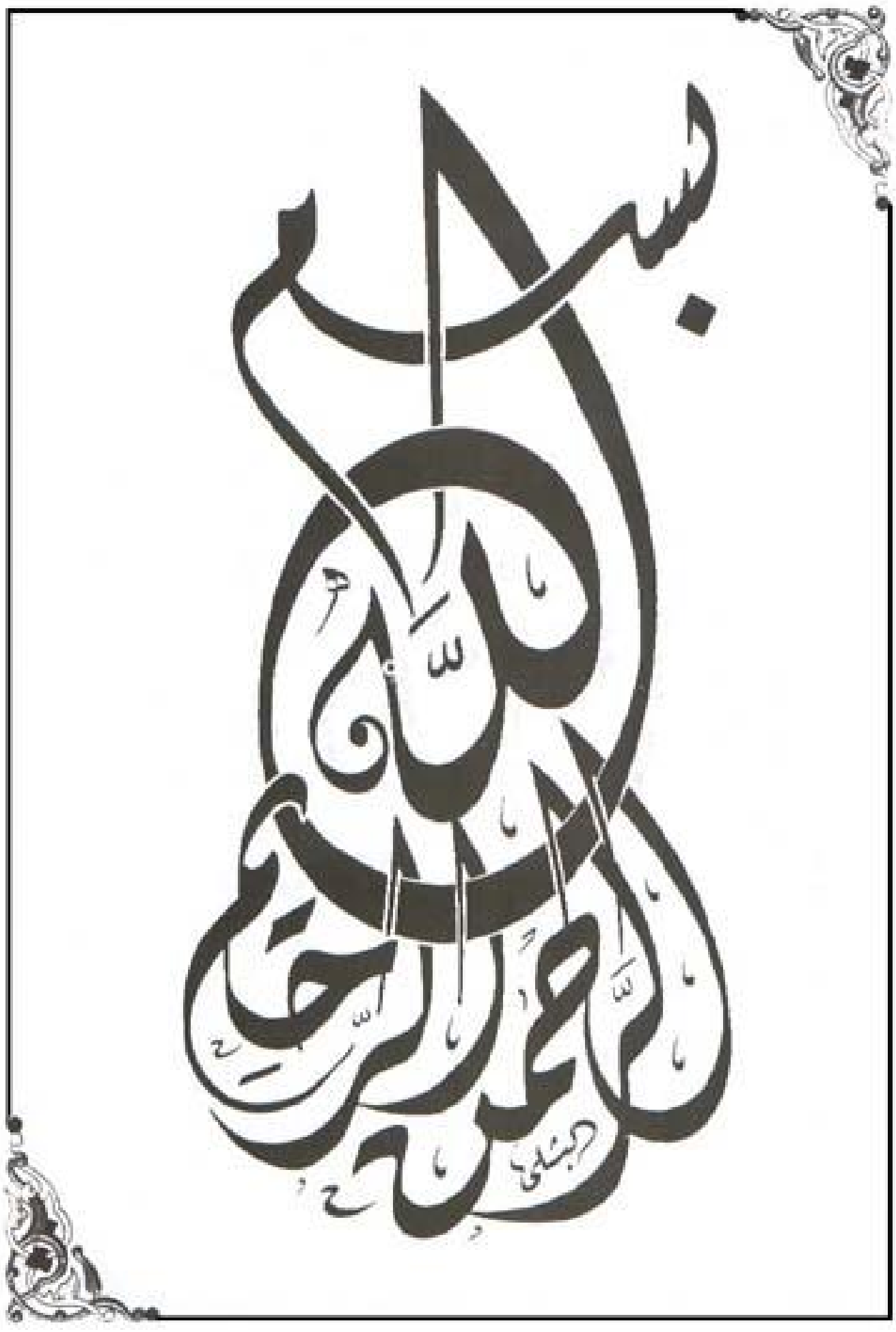
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

أهدي ثمرة جهدي ....

الى روح أجدادي ...الى روح عمتي الغالية ...الله يرحمهم

الى الدي كان له الفضل لانارة واضاءة طريقي الى خالي العزيز الغالي البروفيسور **" مبخوت بودواية" .**

الى القلب الدي سكب أسراره بقلبي .

الى اليد التي امتدت فاشعلت شعلى عواطفي.

اليك أيتها الحلم الفردوسي والوجه الملاءكي .

أمي الغـــــــــــالية **..صفية..**

الى الدي بفضله رعاني وعلى الخير رباني ,الى طريق المعالي هداني والدي لم يدخر جهدا في تعليمي الى نور عيني ابي **..سليمان..**

الى الدين اتقاسم معهم دم الشريان والأنس ...الى أعز من روحي ودونهم يتوقف قلبي ...الى الدين شاركوني الابتسمات والأهات ...الى اخوتي

أمين.رفيق. حسام .دليلة

الى خالي **محمد** وخالاتي وجميع عائلة **مبخوت.**

الى من قاسمتني هادا العمل المتواضع صديقتي **رمضاني سعاد.**

الى أختي بالغرفة **فاطمة كابلي** وصديقتي **فضيلة** ولكل من يعرف **زهرة مبخوت.**

الى كل من هم في قلبي ولم يدكرهم قلمي لأن مساحة قلبي أوسع من مساحة الورق.

زهرة مبخوت

إهداء

بدأنا بأكثر من يد وقاسينا أكثر من هم وعانيناالكثير من الصعوبات وها نحن اليوم والحمد لله نطوي سهر الليالي وتعب الأيام وخلاصة مشوارنا بين دفتي هذا العمل المتواضع.ففي مثل هذه اللحظات يتوقف اليراع ليفكر قبل أن يخط الحروف ليجمعها في كلمات ... تتبعثر الأحرف وعبثاً أن يحاول تجميعها في سطورسطوراً كثيرة تمر في الخيال ولا يبقى لنا في نهاية المطاف إلا قليلاً من الذكريات وصور تجمعنا برفاق كانوا إلى جانبنا.....فواجب علينا أن نشكرهم ونهديهم عملنا هذا ونحن نخطو خطوتنا الأولى في غمارالحياة.

إهدائي هنا ليس لتخرجي فقط...

بل لثمرات تقطف عندما تكون يانعة وها أنا أقف لأقطف إحدى هذه الثمرات التي ينعت لي

وهي تخرجي في انتظار قطف المزيد بإذن الله ...

هنا سوف أضع كلمات لكل من ترك بصمة في حياتي وغير من مجرها وعمق في توسيع مداركي العلمية والعقلية...

لكل من لملم احزاني بين فترة وأخرى...

إهدائي إليكـ أيتها الأم التي كنت عوناً ودفء بين أضلعي..

إليكـ ايها الأب الذي علمني بأن عندما تطفأ الأنوار لابد من إضاءة الشمعة ولا نقوم بلعن الظلام

و الى اخوتي : خالد ; زينب ;محمد الامين و هشام .

والى من قاسمتني جهد هذا العمل صديقتي " مبخوث زهرة".

والى طلبة قسم التاريخ .

والى كل من رافقني خلال حياتي الدراسية.

إليكم.. . أبعث أرق تحية وأعذب سمفونية سمعتها وارددها لكم بأنني احببتكم من كل قلب.. سيقف قلمي هنا بُرهة ليستقر بين أنظاركم ما كتبت لعلها هذه المفردات تكون خير معينة حتى تتذكروني يوما ما محبتكم.....

سعـــاد رمضاني

شكر وعرفان

وقل اعملو فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون(قال تعالى

اللهم لك الحمد حمدا كتيرا طيبا مباركا فيه,اللهم لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد ادا رضيت ولك الحمد بعد الرضى

الحمد لله الدي هدانا لهدا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

الى من صاحبنا بقلمه وعلمه ...الى من صحح حروفنا ...الى من جعل أخر عملنا متوج من تحت يده الى الأستاد المشرف

'شباب عبد الكريم'

الى الدكتور **''مبخوت بودواية''** لنصاءحه وتوجيهاته القيمة

الى كل من علمنا حرفا الى أساتدتنا الكرام ...الى قسم التاريخ ... عمال المكتبة والمكتبة الحضرية بالمشرية ...الى كل من ساعدنا من قريب او بعيد

الى من ساعدنا في كتابة المذكرة جزاه الله عنا كل خير

'' اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما ''

المقدمـــة

مقدمـــــة:

شهد المغرب الأوسط خلال تاريخه في العصر الوسيط تعاقب عدة دول تنافست على حكمه لفترات ,وبعد سقوط دولة الموحدين في منتصف القرن السابع هجري (7 هـ) الموافق ل الثالث عشر ميلادي (13م) أدى الى تفكك الوحدة السياسية لبلاد المغرب الإسلامي نتج عنه قيام الدولة الزيانية التي تزامن قيامها مع أقوي دولة بالمشرق الإسلامي و هي دولة المماليك في الشام .

وجمعت هاتان الدولتان صلات متنوعة في الجانب الحضاري و الثقافي , وهذا ما ستحاول التطرق إليه من خلال بحثنا و المتجلي في " **الصلات الحضارية بين المغرب الأوسط و بلاد الشام ما بين القرنين السابع و التاسع الهجري** " .

وكان اختيارنا له مبنيا على أهميته التي تكمن في كونه يسلط الضوء على جانب مهم من جوانب التاريخ الحضاري لبلاد المغرب الأوسط و علاقته ببلاد الشام .

دوافع البحث :

ممالا شك فيه ان هناك عوامل عديدة دفعتنا الى اختيار الموضوع (الصلات الحضاريةبين المغربالأوسط وبلادالشام مابين القرنين السابع والتاسع الهجري)ممزوجة بين الموضوعية احيانا و الميول الذاتية أحيانا أخرى .

فالدوافع الموضوعية تمثلت في :

-معرفة ثقافة المغرب الاوسط و الشام خلال العهد الزياني

-العلاقات التي جمعت بينهما خاصة العلاقات الحضارية و العلمية.

-افتقار مكتبة قسم التاريخ لجامعة سعيدة بمثل هذه المواضيع.

أما الدوافع والميول الذاتية : فتجلت في ميولنا البحثي و اتجاهنا في الاطلاع وتبيان الدور الذي عرفه البلدين في هذه المرحلة.

أهداف البحث:

نهدف من خلال هذه الدراسة إلى رصد العلاقات والصلات الحضارية بين المغرب الأوسط وبلاد الشام خلال القرنين السابع والتاسع هجري وتبيان مسار تطورها لكلتا الدولتين

اشكالية البحث:

ومن أجل الإلمام بالموضوع ,سنحاول الإجابة على التساؤلات التالية:

- كيف كان الوضع العام للمغرب الأوسط أثناء الحكم الزياني؟

- ماهي الحالة التي عاشتها بلاد الشام خلال عهد المماليك؟

- فيما يتمثل الدور الحضاري للدولة الزيانية ودولة المماليك؟

وللإجابة على الأسئلة السابقة الذكر وضعنا خطة للبحث والمتمثلة في: مقدمة ,مدخل , واحتوى على ثلاثة فصول ، خاتمة ، ملاحق، قائمة المصادر والمراجع وقد تعرضنا في المدخل إلى دراسة الأوضاع السياسة بالمغرب الأوسط وبلاد الشام قبل القرن السابع هجري

أما الفصل الأول: تناولنا فيه المظاهر الحضارية بالمغرب الأوسط في عهد الدولة العبد الوادية وتطرقنا فيه إلى نشأة الدولة العبد الوادية ونظام الحكم في عهد يغمراسن وثالثا تطرقنا الى الأوضاع الاقتصادية في الدولة الزيانية من زراعة ، صناعة ، وتجارة .

أما الفصل الثاني: فقد شمل المظاهر الحضارية ببلاد الشام وقيام دولة المماليك.من خلال ذكر قيام دولة المماليك و الوضعية الاقتصادية في عهد المماليك من زراعة وصناعة ، تجارة وتطرقنا الى الحياة الاجتماعية والثقافية ضف الى ذلك مكونات المجتمع الشامي وذكرنا أهم المؤسسات الثقافية.

أما الفصل الثالث: فقد اشتمل على الصلات الحضارية بين المغرب الأوسط والشام تناولنا الجانب الثقافي العلاقات الدبلوماسية الخارجية ثم تطرقنا فيه الى الصلات السياسية إضافة إلى الحياة الاقتصادية كما تناولنا فيه الرحلة بين المغرب الأوسط والشام وتأثيرها على العلاقات الثقافية، و التبادل الثقافي واكتساب العلوم والمعارف ونماذج من العلماء الرحالة

وختمنا موضوع بحثنا بخاتمة تضمنت أهم الاستنتاجات التي خرجنا بها من هذه الدراسة بالإضافة إلى ملاحق وبيبليوغرافيا وفهرس.

نقد المصادر والمراجع

اعتمدنا في دراستنا لهدا الموضوع على مجموعة من المصادر متمثلة في كتب ومذكرات لشخصيات عايشت الفترة المدروسة ,وقد كان لها وزنها في الحياة الاقتصادية والثقافية والسياسية كأمثال: **عبد الرحمن ابن خلدون** في كتابه '' **العبر وديوان المبتدأ والخبر**'' الذي انفرد عن غيره باعتماده على الروايات بالنقد وسرد التفاصيل حول الأحداث التي عرفتها الدولة الزيانية.

''كتاب بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ''في جزءه الأول **لأبي زكرياء يحي ابن خلدون** المتوفي سنة 708 هـ / 1378 م تحقيق الدكتور حاجيات عبد الحميد الجزء الأول سنة 1980 , تناول فيه الاخبار عن قبيل بني عبد الواد وموطنهم وبلوغ الملك اليهم ليخصصه بعده أبواب سلاطين الدولة بدأ بالسلطان يغمراسن بن زيان الى غاية سقوطها على عهد أبي سعيد وأبي ثابت.

''كتاب تاريخ بني زيان ,ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ''لمؤلفه **محمد عبد الله بن عبد الجليل التنسي** حققه محمود بوعيان سنة1985 .

يعتبر أهم مصادر الدولة الزيانية يضم تاريخ مختصر وشامل لسلاطينها قام فيه بالمدح والإشادة مع ذكر العمليات العسكرية التي قامو بها.

وكتاب **القلقشندي أبو العباس أحمد ابن علي ابن أحمد '' صبح الأعشى في صناعة الانشى ''** كذلك أفادنا هذا المصدر في معرفة أهل الشام الخ...

بحيث ساعدتنا هذه المصادر طيلة الفترة العلمية البحثية .

أما المراجع فهي عبارة عن دراسات أكاديمية تطرقت الى موضوع الصلات الحضارية بين المغرب الأوسط وبلاد الشام على العهد الزياني ومن أهمها:

مبارك الميلي: "تاريخ الجزائر في القديم والحديث " بالاضافة الى

طقوش محمد سهيل: "تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام "الخ ..

وقد اقتضت طبيعة الموضوع اتباع منهجية تاريخية التي سمحت لنا بإتباع المنهج التاريخي الوصفي التحليلي.

ومهما يكن من الأمر فلا نريد الحديث عن الصعوبات التي تواجه أي باحث في التاريخ الحضاري للمغرب الاسلامي , وتمثلت في الفراغ الملحوظ في المصادر والمراجع التي تهتم وتتناول العلاقات والصلات الحضارية بين الزيانية ومماليك الشام , وكذلك صعوبة انجاز هذه المذكرة لأننا لم نتعود على انجاز مذكرة من قبل،واذا كانت الغايات لا تدرك الا بخوض الصعوبات فان هذه المجهودات والمتاعب أكسبتنا معارف جديدة ,قد تدفعنا لدراسات تاريخية أخرى .

مدخـــــل

يشكل تاريخ العالم الإسلامي حلقة متميزة من حلقات التاريخ ، ويعد اختيارنا للموضوع الصلات الحضارية بين المغرب الإسلامي و بلاد الشام خلال الفترة القرن السابع و التاسع هجري, موضوع له أهمية كبيرة لأنه يسلط الضوء على الجوانب الحضارية لكلا البلدين ,و إعطاء تعريف عن المغرب الأوسط بصفة خاصة و المغرب الإسلامي بصفة عامة و نتكلم عن الفتح الإسلامي لهما.

فقد عرف علي مبارك في كتابه خطط الشام بلاد الشام تبعا لتعريف الإدريسي الذي حدد المنطقة جغرافيا على النحو التالي:"إذ تبدأ شمالا عند السفوح الجنوبية لجبل "طوروس" بالامتداد إلى ما وراء خليج "الإسكندرونة" لجهة أرض الروم ومن السويدية إلى جبل "الخنزير" فما كان من جهة الشام على أرض الروم ضفة الفرات شام , وما كان من ضفة أخرى من الشرق فهو العراق وتعرف بلاد الشام أنها المنطقة التي تطل حاليا على أقطارا أربعة و هي الجمهورية العربية السورية و المملكة الأردنية الهاشمية و الجمهورية اللبنانية و دولة فلسطين المحتلة وعرف الإقليم تاريخيا ببلاد الشام وتتركب عرقيا من 90 بالمئة من سكان الإقليم من العرب .[1]

وتعد دمشق عاصمة الشام إحدى حواضر الدولة الإسلامية بصفة عامة وبلاد الشام بصفة خاصة,حيث شهدت نهضة علمية رفيعة المستوى وبرز دورها واضحا في نشر العلوم الدينية

[1] WWW .OSHARKALAAARABI.ORG

المتمثلة في القرآن الكريم والحديث الشريف ,و الفقه فأصبحت منبعا ينهل منه العديد من العلماء فقصدها علماء من بغداد و الأندلس و مصر"[1]

فالعرب على عادتهم يحاولون أن يجدوا أصلا عربيا لكل لفظ أو عالم جغرافي فيقولون أن البربر من أولاد صنهاج العربية، من حمير بن قيس ويقال أن هذا الرجل عندما هاجر إلى المغرب لم يفهم هؤلاء الناس فسماهم البربر و سمى الناس الذين يتكلمون بها البرابرة, فالحقيقة أن البربر شعب إفريقي سكن هذه البلاد منذ أقدم العصور , واليونان هم الذين سموهم البربر و عنهم أخذ اللاتينيون ثم العرب هذه التسمية بل يعرفون أنفسهم بأسماء شعوبهم القبائلية.[2]

المتمعن في الفتوحات الإسلامية,لبلاد المغرب يجد أن هذا الفتح لم يتم دفعة واحدة لجميع الأقطار التابعة لها بل كان يقتصر في البداية على بعض المناطق الى ان توسع الفتح لإسلامي,و

---

[1] **لؤي بواعنة، دور العلماء المسلمين في مقاومة الغزو الفرنجي (الصليبي) للمشرق الإسلامي(490-648هـ)(1097-1250م) دار اليازوري العلمية للنشر و التوزيع، الأردن ، 2007، ص 27, ينظر: حامد زيان غانم زيان، الصراع السياسي و العسكري بين القوى الإسلامية زمن الحروب الصليبية ،دار الثقافة للنشر و التوزيع، القاهرة ، 1403هـ، 1983م ، ص10**

[2] **مؤنس حسين ، تاريخ المغرب و حضارته من قبل الفتح العربي الى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر من القرن 6هـ-19م ، المجلد 1، ج2، ط1، ص ص 24 25**

أصبحت بلاد المغرب بلاد إسلامية [1]ولا يمكننا ذكر الفتوح الإسلامية لبلاد المغرب ولا كن نستطيع ذكر أهم الحملات وتاريخها كما يلي:

1-عبد الله ابن سعيد بن أبي صرح 27هـ - 29هـ وهو أول فاتح لإفريقيا

2- معاوية ابن حديج الكندي 34هـ -35هـ فاتح السوس و بتروة

3- عقبة ابن نافع الفهري 50هـ - 64 هـ مؤسس القيروان سنة 50 هـ

4- أبو المهاجر دينار 55هـ - 62 هـ .

5- حملة عقبة بن نافع الثانية 62هـ -36هـ

6- حملة حسان بن النعمان 74هـ - 85هـ

7- حملة موسى بن نصير 85 هـ - 95هـ فتح بلاد المغرب الأوسط و المغرب الإسلامي و افتتح ولايته بفتح قلعة جبل زغوان وهي على نحو خمسين كيلو مترا جنوب تونس.[2]

كما يعتبر فتح شبه جزيرة ابيريا من أروع حلقات الفتوح الإسلامية الأولى, فقد جاء ذلك الفتح تتويجا لجهاد عربي طويل لفتح المغرب الذي استغرق حوالي 70 سنة مابين نصر و هزيمة ومد

---

[1] **بونار رابح ، المغرب العربي ، تاريخه و ثقافته ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، د ت ,ص ص 19-20**

[2]**صبحي عبد المنعم ، دراسات في تاريخ المغرب العربي، دار العربي للنشر و التوزيع،ط1، 2000 ,ص55**

وجزر , وكان ذلك دليل على حيوية الشعب العربي و إقدامه و إيمانه بدينه ونفسه ، وهذا الفتح الطويل وصلوا في أوائل العقد الأخير الهجري من القرن الهجري الأول و العقد الأول من القرن الثامن الميلادي إلى ساحل المحيط الأطلسي من طنجة شمالا إلى سهل السوس جنوبا ,وبذلك أصبحوا على أبواب أوربا من هذه الناحية ومن دلائل حيوية الشعب العربي أنه لم يقف عند تلك الحدود وإنما تخطى بحر الزقاق شبه الجزيرة الإبيرية و فتحها حتى وصل إلى أقصى شمالها.[1]

لقد نجح موسى بن نصير في إكمال فتح المغرب, ولم تخرج عن طاعته سوى مدينة سبتة لمناعتها وشدة تحصينها وكثرة الامتدادات القادمة إليها من جهة البحر ,وكان يحكمها من قبل قوط حاكم اشتهر باسمه "يوليان" وقد اختار موسى بن نصير طارق بن زياد وهو من أصل بربري ليكون على رأس جيش أغلبه من البربر ويحدث ذلك أول مرة في الفتوحات الإسلامية[2] فتوجه طارق بن زياد إلى الأندلس فقام بفتحها إلى جانب قادة آخرين سنة 711م – 92 هـ في جيشين أحدهما تحت رئاسته و الآخر تحت رئاسة طريف ابن مالك التخمي ونزل مكان سمي به أيضا ، ولما اجتازوا البحر كسر طارق المراكب كي لا يطمعوا في الفرار وضعف الصبر من الجيش وخطب فيهم خطبته الشهيرة التي ضاعفت شجاعتهم و إقدامهم. هذا وقد تواصلت الفتوحات الإسلامية من طرف الفاتحين العرب إلى أن وصلوا فتح الأندلس والمغرب وقد أصبحت كل منهما ولاية واحدة تعرف بالمغرب الإسلامي.

---

[1] **مونس حسين ، المرجع السابق, ص 75**

[2] **– مونس حسين ، المرجع نفسه، ص 76**

فالمغرب و الأندلس لهما تمازج حضاري مما جعل معظم المؤرخين يكتبون كتاباتهم عن تاريخ المغرب و الأندلس[1] في كتابات واحدة وذكر ما انتقد منها وتشابه بين الحضارة الأندلسية و المغربية وكل من كتب عن هذان الأخيران وجدوا واقع الثقافة الأندلسية ,و ما انتقل منها إلى المغرب غير عهد دولتي المرابطين والموحدين, وأصبح أصلا من أصول الثقافة المغربية [2]. ومن العوامل التي ساعدت على انتشار الإسلام بين البربر بساطة العقيدة الإسلامية و دعوته إلى القيم السامية من مساواة وعدل و إحسان وتضامن وعطف على الفقراء و العبيد، فلا غرابة أن يعتنق هؤلاء الدين الجديد لأول الاتصال به [3] .فقد شهد المغرب الإسلامي تعدد الدويلات التي جاءت بعد الفتح منها الدولة الأغلبية التي أسسها عبد الرحمان الأغلب و الدولة الرستمية التي أسسها عبد الرحمان بن رستم و الدولة الادريسية.

---

[1] الأندلس: هي الدولة الأولى التي أقامها العرب في أوروبا وعندما نقول الأندلس نعني ما ساده العرب من شبه الجزيرة الابيرية (اسبانيا و البرتغال) ولفظ الأندلس يطلق على ما بيدي المسلمين من شبه الجزيرة حتى اقتصر على مملكة غرناطة,ولفظ الأندلس معرب جاء من لفظ "الوندال": ينظر ابن الكثير، التعريف بالأعلام الواردة في البداية والنهاية، دار التقوى، القاهرة، ط1، ج1، 1999، ص 76.

[2] محمد عادل عبد العزيز، الجذور الأندلسية في الثقافة المغربية ، دار غريب للطباعة والنشر و التوزيع ، القاهرة،2004، ص ص9 –10

[3] حاجايات عبد الحميد و آخرون، كتاب مرجعي حول تاريخ الجزائر في العصر الوسيط ,طبعة خاصة، د ت ، ص31

كما ظهرت الدولة الفاطمية الشيعية التي انتقلت من المشرق إلى المغرب وظهور المرابطين و الموحدين و الدولة الموحدية تفرعت ثلاث دويلات :منها الزيانية و المرينية و الحفصية والتي تم على يدها توحيد المغرب و الأندلس إلى ولاية واحدة.[1]

[1]– ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمان، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذي السلطان الأكبر، المجلد1، ج5، دار الكتاب اللساني ، بيروت، 1981، ص 798–793

الفصـــــــل الأول

الفصل الأول حضارة بلاد المغرب في عهد الدولة الزيانية

1-الوضع في المغرب الأوسط في العهد العبد الوادي

2-التطور السياسي في عهد بني عبد الواد

2-1- نشأة دولة بني عبد الواد

2-2- نظام الحكم في عهد يعمرانس

3-الوضعية الاقتصادية في عهد الدولة العبد الوادية

3-1- الزراعة

3-2- الصناعة

3-3- التجارة

4- الحياة الاجتماعية و الثقافية

4-1- تكوين المجتمع العبد الوادي

4-2- الطبقات الاجتماعية في عهد بني زيان

4-3- دور السلاطين في تطوير التعليم

4-4- نشاط المؤسسات التعليمية

تمهيـــــد

يشكل تاريخ المغرب حلقة متميزة من حلقات التاريخ العربي الإسلامي الذي زاد توسعه نتيجة الفتوحات الإسلامية ,و أطلق اسم المغرب على الأقاليم الواقعة غرب مصر وهو ما يضم حاليا أقطار المغرب العربي وبلاد المغرب في معظمها عبارة عن هضبة كبيرة تخترقها سلسلتان جبليتان تختلف أسماءها من منطقة إلى أخرى .كما يلي الجبال نطاق صحراوي شاسع.

المغرب العربي شهد عدة حضارات إسلامية وهذا راجع إلى التقسيم الذي طرأ على بلاد المغرب جغرافيا وقسم إلى ثلاث أقسام هي

المغرب الأدنى: والذي كان يسمى إفريقية، عاصمته الأولى القيروان التي بناها عقبة بن نافع50-55هـ/672-688م ثم تونس وقد تولتها دولة بني حفص[1].

المغرب الأقصى: يمتد من ملوية شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا وكانت تسكنه في الأغلب قبائل المصامدة، برغواطة ، صنهاجة،مطغرة ،و أوربة..الخ و حكمتها دولة بني مرين.كان بوجود بني مرين في المغرب الأقصى يهاجمون بني زيان [2]

---

[1]– ابن الأثير عز الدين ابن الحسن الجزري ، الكامل في التاريخ، ج3، ط4، دار الكتاب العربي، بيروت،1967،ص230

[2] بختي حمزة ,الأهمية الاقتصادي للمرافيء بالمغرب الأوسط في العهد الزياني ,ماجستار ,جامعة سعيدة ,قسم التاريخ,2014,ص 11

المغرب الأوسط : يتوسط المغربين الأقصى و الأدنى وهو في الأغلب ديار زناته كما يقول ابن خلدون قاعدته تلمسان وقد فتحت أجزاء منه في عهد " أبي المهاجر دينار" سنة 55 هـ/672م الذي قاد حملة كبرى سنة 59 هـ/676م ووصل إلى تلمسان أين حفر عيون سميت باسمه"عيون ابن المهاجر دينار".[1]

***1*-الفصل الأول**: المظاهر الحضارية بالمغرب الأوسط في عهد الدولة العبد الوادية

1-1 : نشأة دولتهم : بنو عبد الواد[2] هم فرع من فروع الطبقة الثانية من قبيلة زناته[3] البربرية التي كانت قبائلها تعيش حياة البداوة و الترحال و يجوبون صحراء المغرب الأوسط بحثا عن المراعي الخصبة لمواشيهم وينتقلون ما بين فكيك ومديونة إلى جبل بني راشد[4] وهم ينتمون إلى فرع بني واسين إحدى أهم بطون زناته و تضم هذه الطبقة بطون عديدة منها بني مرين وهم الأكثر عددا و الأقوى سلطة ثم يليهم بنوا عبد الواد في المرتبة الثانيةمن حيث المكانة و القوة ثم يليهم

---

[1] **ابن خلدون ابو زيد عبد الرحمان ابن محمد, المصدر السابق, ص123**

[2] **لقبو ببني عبد الواد:نسبة الى جدهم الذي كان يتعبد في الواد فأطلق عليه هاذا اللقب , ينظر :عبد الرحمان الجيلالي,تاريخ الجزاءر العام,ج2,دار الثقافة:بيروت,ط4,1980,ص205**

[3] زناته : من القبائل البربرية ، ويرجع النسابة أصلها إلى شانا أو جانا بن يحيى بن صولات بن ورماك بن ضرى بن زحيك بن مادغيس بن بر،وكانو عدة فروع إضافة إلى بني عبد الواد منهم : بنومرين – مغراوة- توجين- مليكش-بنو يفرن :ينظر :ابن حزم الأندلسي الى بني عبد الواد ,جمهرة أنساب العرب : تح :عبد السلام محمد هارون , دار المعارف , مصر ,1962 , ص 495 .

[4] **لخضر عبدلي,التاريخ السياسي والحضاري لدولة بني عبد الواد,ابن النديم,للنشر والتوزيع,الجزائر ,ط1,1972,ص41**

بنوا توجيين [1]، كما ينقسمون الى بطون منها بنو ياكتين وبنوا رلو، و بنوا رهطف، نصوحة بنو تومرت ، بنو قاسم[2].

ولقد اختلف العديد من المؤرخين حول نسبتهم ،فهناك من أرجعهم إلى البربر وهناك من نسبهم إلى إدريس بن عبد الله العلوي، حيث افتخر الزيانيون بهذا النسب[3].

ولكن عبد الرحمان ابن خلدون فند هذا الاعتقاد في قوله:"ويزعم بنو قاسم هؤلاء أنهم من أولاد إدريس وربما قالوا في هذا أنه محمد بن إدريس أو بن محمد بن القاسم وكلهم من أعقاب إدريس زعما لا مسند له[4]". ويقول ابن حزم الأندلسي :"....هو شانا بن يحي بن صولات بن ورتناج بن ضري بن سقفو بن جنذواز بن يملا بن مادغيس بن هوك بن هرسق بن كراد بن مازيغ بن هواك بن هريك بن بدا بن بديان بن كنعان بن حام بن نوح النبي صلى الله عليه وسلم[5]...".

---

[1] ابن الزرع علي الفاسي,الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس,دار المنصور للطباعة والوراقة,الرباط,1972,ص278

[2] عبد الرحمان ابن خلدون,العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر,ج7,دار الكتاب المصري,1999,ص72

[3] مبارك محمد الميلي,تاريخ الجزائر في القديم والحديث,تقديم وتصحيح محمد الميلي,المؤسسة الوطنية للكتاب(دت),ص100

[4] عبد الرحمان ابن خلدون,المصدر السابق,ج7,ص56

[5] ابن حزم الأندلسي,المصدر السابق,ص495

وقد كان بنو واسين ومن تفرع عنهم يستوطنون الأراضي الممتدة مابين نهم ملوية و أرض الزاب الواقعة جنوب الأوراس فامتنعت عنهم أراض المغربين التي كانت تحت سلطة زناته كبني ومانية وبني يلومي بالمغرب بالأوسط وبني يفرن و مغراوة بتلمسان " [1] فكانت هذه القبائل تقدم المساعدات لبني واسين من أسلحة و مال وحبوب مقابل مساعدتهم في حال الحروب أو المخاطر خاصة مع صنهاجة " [2] ولكن ومع الزحف الهلالي إلى الشمال الإفريقي قضوا على صنهاجة بالقيروان ثم زحفوا إلى المغرب الأوسط فدافع الحماديون عن بلدهم بمساعدة بني يعلى ملوك تلمسان من مغراوة. فجمع هؤلاء كل من كان أحلافهم من بني واسين وهم من بني مرين وبني عبد الواد وبني توجين ،

وبني راشد فهموا إلى محاربة الهلالين بزعامة أبي سعدي بن خليفة من بني يفرن غير أنهم هزموا فكان لزاما عليهم الانسحاب من المغرب الأوسط بعد طردهم منه. [3] فاضطر بنو مرين وبنوعبد الواد وبنوتوجين من بني واسين إلى العودة إلى مواطنهم بصحراء المغرب الأوسط من جبل راشد إلى ملوية وفقيق ثم إلى سجل ماسة فاستجاروا بملوك هذه الضواحي من بني يلومي وبني ومانوا

---

[1]– ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق ، ج7، ص148–149

[2]– عبد الرحمان ابن خلدون ، المصدر نفسه، ج7، ص 120–147

[3] مكيوي محمد، الأوضاع السباسبة و الثقافية لدولة لبني عبد الواد، رسالة ماجستير ، قسم تاريخ، جامعة تلمسان،2005،ص45

الذين قسموا تلك المنطقة الصحراوية "[1] أخذ بنو مرين الناحية الغربية بتكورارين أما بنو بادين فكانت لهم الناحية الشرقية "شرق المغرب الأوسط" ما بين فقيق ومديونة الى جبل راشد ومصاب فكانت بينهم وبين بني مرين العديد من الفتن و المناوشات بحكم جوارهم و اتصالهم في مواطن وضم بنو بادين عدة بطون هم بنو توجين، بنو مصاب وبنوا راشد"

أما سلاطين الدولة الدولة الزيانية كان موقفهم مابين مؤيد أحيانا وصامت أحيانا فالسلطان يمغراسن [2] عندما سئل عن هذا النسب فقال "إذا كان صحيحا فينفعنا عند الله، وأما الدنيا فنلناها بسيوفنا" أماابي حمو موسى الثاني ومحمد المتوكل فقد أيد هذا النسب [3] كما هو الحال ليحيى ابن خلدون و التنسي حيث قال يحي بن خلدون"بنو قاسم من ولد ادريس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن طالب[4]

---

[1] ابن خلدون (أبو زكريا يحي بن محمد) ، بغية الرواد في ذكر ملوك من بنو عبد الواد ، تقديم و تحقيق عبد الحميد حاجيات ، المكتبة الوطنية، الجزائر ، 1980، ج1،ص 140-186

[2] يمغراسن: إن هدا الاسم أمازيغي الأصل إلا انه اختلف من نقطه ومحل الخلاف في شكل الغين ولكن عبد الرحمان ابن خلدون ضبط اسمه بياء فغين مفتوحة تتبعها ميم ساكنة ، فراء مفتوحة تليها سين مفتوحة فنون ساكنة ، يمغراسن وهو مؤسس الحقيقي للدولة الزيانية ، ينظر محمد بن عبد الله التنسي ، تاريخ بنو زيان ملوك تلمسان ، مقتطف من الدر و العقيان في بيان شرف بنو زيان، تح :محمود أغا أبو عياد , موفم للنشر ، الجزائر ،2011 ص112

[3] بسام كامل عبد الرزاق شقران ، تلمسان في العهد الزياني (633-962هـ/1235-1555م) رسالة ماجستير منشورة في التاريخ ، جامعة النجاح الوطنية فلسطين،2002،ص54

[4] المرجع نفسه،ص55

كان بنو عبد الواد قديما هموا بفتح حضائر المغرب الأوسط و الأقصى مع عقبة بن نافع و أبلوا في ذلك البلاء الحسن فدعا لهم عقبة وأذن لهم في العودة إلى موطنهم ثم انجر بنو عبد الواد في المناطق الممتدة بين ملوية واستقروا في صحراء المغربين الأوسط و الأقصى وبلاد زاب[1]

أما من ناحية الجنوب تحدها نواحي و رجلان وغرداية و توات وقد أطلق عليها ليون الإفريقي (حسن الوزان) بصحراء نوميديا التي تفصل بين بلاد المغرب في الشمال وبلاد السودان.[2]

العوامل الداخلية فقد لعبت دورا هاما في نشأة الدولة العبد الوادية إذ شكلت هذه العوامل القاعدة الأساسية في بناء أركان الدولة ولقد أثرت البنية القبلية على قيام الدولة العبد وادية ، وترسيخ أقدامها بالمغرب الأوسط واستقرار أوضاعها السياسية ,وقد اعتمدت على مساعدة القبائل البربرية كانت أم عربية التي تحالفت معها وكانت إلى جانبهم في بناء وقيام الدولة،وتوسيع مجدهم و العمل على الحفاظ على أمنهم واستقرارهم فالقبائل البربرية كان لها دور كبير في القيام الدولة.

[1]عبد العزيز محمود لعرج ، مدينة المنصورة المرينية بتلمسان ، دراسة تاريخية أثرية في عمرانها و عمارتها و فنونها ، الناشر مكتبة زهراء الشرق الجزائر ،ط 1,2002,ص17

[2]خالد بلعربي ، الدولة الزيانية في عهد يمغراسن، الجزائر ، دار المعية للنشر و التوزيع ,ط1،2011،ص80

واستمرارها ونذكر قبيلة بني واسين ومنديل وكومية وبني يلومي وبني ومان وبني تغرين وهاواري وازداج وبني ورنيد ووجديجن وبني سلامة ومطماط وولهاصة وغيرها وهي التي تشكل منها بلاد المغرب الأوسط . أما دور القبائل العربية فلا يقل أهمية عن الدور البربري التي ساندت أغلب القبائل العربية وبني عبد الواد ووقفت إلى جانبهم برجالها و عتادها .فلعبت دور معتبر في قيام الدولة وأسهمت في توطيد أركانها ونشر نفوذها في المغرب الأوسط[1].ونذكر منها قبيلة بني عامر وبني يزيد وبني مالك و المعقل ودوي منصور[2].

من العوامل الخارجية التي ساعدت على قيام الدولة العبد الوادية إنهيار دولة الموحدين واستغل بنو عبد الواد الظرف السياسي لتعبير عن مواقفهم السياسية المغايرة كما كانت عليها من قبل و المتمثلة في خدمة عامل الموحديين وبهذا دخلوا الى تلمسان سنة627هـ فكانت الخطوة الأولى لتأسيس دولتهم وبهذا تولى يمغراسن مقاليد الحكم ورئاسة قبيلة بني عبد الواد وألغى سيطرة الموحدين واعلن عن استقلال الدولة العبد الوادية التي أصبحت قوة يعتد بها في المغرب الأوسط.

---

[1] خالد بلعربي ، المرجع السابق ،ص 84

[2] بنو عامر ، وهم ثلاثة بطون، بنو يعقوب، بنو حاميد ، بنو شافع، ورئاسة بني عامر أنذاك كانت لداود بنو هلال ، بني عطاف بالكوش، بن عباد بن يعقوب استقدمهم يمغراسن بن زيان الى نواحي تلمسان ووهران وقربهم اليه فكان لهم الاثر الكبير في بناء الدولة ، كما ساندوه في التصدي للهجومات الحفصية و المرينية على دولتهم ، ينظر: العبر ،ج6، ص51

بنو يزيد : ينحدرون زغبة ناصرت الدولة العبد الوادية و تحالفت معها كانت مواطنهم في بلاد البويرة، ينظر ابن خلدون،ج6،ص41، ينظر: ابن خلدون بغية ، ج2، ص ص133-135

ومن العوامل الاقتصادية : وتمثلت في الموارد التي كانت بأيدي قبيلة عبد الواد التي ساعدتهم في الانتقال الى مرتبةالسلطان ، فكان من قبائل الرحل التي تجوب جبال صحراء المغرب الاوسط تتبع المراعي الخصبة لمواشيها وعلى ذلك حتى فتح الموحدون أعمال المغرب الاوسط فكانوا لهم عونا على ذلك وصاروا من أخص قبائل زناته ولاءا لهم فمنحهم الموحدون جزاء إخلاصهم ضواحي المغرب الاوسط بلاد يلومي وبني ومانو فتركوا الصحراء واستقروا في التل لممارسة الزراعة .فأضحت بذلك الموارد الاقتصادية التي كانت بين أيديهم عاملا في إنتقالهم من طور الرعي الى طور الزراعة ،فقوت شوكتهم وهيمنوا على القبائل الأخرى وبعد تلاشي نفوذ الدولة الموحدية على تلمسان سنة 633هـ-1235م تدرجوا الى مقام السلطة ومهدوا الى بناء دولة بني عبد الواد.[1]

نظام الحكم في عهد يغمراسن :

يتميز هذا الإقليم باختلاف تضاريسه وتنوع مناطقه وتباين مناخه من منطقة إلى أخرى وتنتشر عبره العديد من المدن التي كان لها أدورا سياسية واقتصادية و ثقافية أهمها تلمسان عاصمة الدولة وحاضرة ملكها ومركز إشعاعها العلمي و الأدبي و الفني ثم ندرومه و هنين ووجدة ووهران إلى مستغانم و مازونة وملیانة والمدية والجزائر ودلس وغيرها.

[1] **خالد بلعربي ، المرجع السابق،ص ص85-86**

أما حدودها فإنها مرت بحالات مد وجزر طوال حياتها ،حيث لم تكن ثابتة ومستقرة بل كانت تتقلص حينا و تتوسع أحيانا حسب استعداد بني زيان وقوتهم العسكرية و الاقتصادية و استقرارهم وأمنهم ووحدة أمرائهم انسجام قبائلهم وولائها الصادق[1]

فبعدما تمكن يغراسن من التوسع غربا كان الحد الفاصل بين مملكته ودولة بني مرين وادي ملوية شمالا إلى إقليم فجيج جنوبا [2] واستطاع الوصول بمملكته لمساعدة القبائل المنضوية تحت نفوذه إلى ما بعد مدينة وجدة إلى تاوريت والبلاد التي نهر ملوية ووادي "صا" أو "زا" وإقليم فجيج في الجنوب الغربي أما من الناحية الشرقية فقد عرفت تطورا ملحوظا منذ اعتداء السلطان أبي سعيد بن يغمراسن عرش المملكة[3].

أما عن حكم يغراسن فقد جاء بعدما خرج على الموحدين قبائل الزناته فلم يجدوا بجانبهم الا بنوا عبد الواد وفي سنة 627هـ-1230م عقد لهم الخليفة أبو العلاء إدريس المأمون على ولاية تلمسان فتولاها جابر بن يوسف فقام يدير شؤونها ويدخل تحت نفوذه جميع بطون بني عبد الواد وقصد اهل ندرومة يطلب منهم الطاعة فأبوا فحاصرالمدينة فرماه من سوارها يوسف الغفاري التلمساني بسهم فقتله . فخلفه على ذلك ولده الحسن لكنه تخلى عنها بعد ستة اشهر

[1]– (عبد العزيز) فيلالي ، تلمسان في العهد الزياني ،ج1،موفم للنشر، الجزائر، 2002،ص43

[2]– عبد العزيز فيلالي المرجع السابق، ص23

[3]– (الحسن بن محمد الفاسي) الوزان, وصف افريقيا ، ج1، ط1، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ،1983,ص 07

لعمه عثمان بن يوسف فعزل هذا بعد عام ونصف لاستبداده وسوء تسييره فقام بعده بالأمر أبو العزة زكران بن زيان مدة ثلاث سنين فأطاعه قومه يفلت الا بنو مظهر, فشمر لمقاومتهم لكنهم قتلوه سنة 633هـ-1235م فلم تبقى حينئذ تلمسان ولاية موحدية, فقد استولى عليها يمغراسن بن زيان وكان زعيم آل زياد تولى رئاسة القبيلة سن633هـ فانه أشد أبطاله بأسا وأعظمهم مكانة[1].

كان ليغمراسن خصالا مكنته من السادة على بني عبد الواد فكان أشدهم شجاعة واعرفهم بالمصالح القبائل وأكثر اطلاعا بالتدبير والرئاسة ,فقد أحسن تسيير شؤون الرعية وساعد المظلوم و إستمال عشيرته وقبيلته و أحلافهم من عرب زغبة ومعقل لحسن السياسة و الاضطلاع, وخلاصة القول أنه كان كفئا لحمل اثقال الملك ومن وزرائه القاضي "أبو محمد عبيد الحباك" ويحي بن مجن أبو مقن" واخوه "عمروش" الذي مات سنة636هـ وخلفه ولداه "يحي" و"عمر" ويعقوب[2] وكان ليغمراسن مواقف سياسية مع بني حفص.

وأكد هذه الصلة بالمصاهرة,فخطب كريمته لولده ولي عهده "أبي سعيد عثمان" كما سبق أن قلنا ان حنكته السياسية التضريب بين رؤساء قبيلة مغراوة لمنافسة التي كانت بينهم في رئاسة قومهم[3]

[1] – محمد الطمار ، تلمسان عبر العصور ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1984،ص79

[2]– محمدالطمار,المرجع نفسه ص91

[3] – محمد الطمار ، المرجع نفسه ،ص92

وكانت بينه وبين مرين "ملوك فاس" وقائع متعددة كان التفوق فيها لمرين ذلك لأسباب منها أن التوجين و مغراوة نابذوه بالعهدة وشاقوه الطاعة ,وركبوا له ظهر الخلاف و العداوة وانحازوا على أعدائه ضده.

ثم ان المغرب الأوسط أصبح ضعيفا اقتصاديا وسبب ذلك الاضطرابات التي تعرض لها وقت الصراع بين المرابطين و الموحدين من جهة الموحدين والمايروقيين من جهة اخرى, فلم يقدر يمغراسن على أن يتغلب على بني مرين الذين أصبحوا سادة المغرب الأقصى الذي كان أوفر سكان وأكثر غنى من إقليم يمغراسن فكان ملوكهم يستطيعون جمع ما أرادوا من الحشود و المال الا أنهم لم يتمكنوا من أن يستولوا على تلمسان فإن يمغراسن قد حصن بلاده و أحاطها بما يردا العدو فجاء بقبيلة بني عامر العربية من صحراء بني يزيد وأقطنها نواحي وهران و تلمسان, فكانت له هناك خير ووقاية احتمى بها من مواجهة خصومه, المقيمون بسهل متيجة وجاء ايضا بقبيلة "حميان"الهلالية فاقامها بصحراء تلمسان ، فكانت له حصنا منيعا من بني مرين وأسكن فريقا من عكرمة جبل "كركرة"[1]

وبعد امارة يمغراسن بن زيان بويع أبوه الأمير عثمان بن يمغراسن بن زيان أبو سعيد بعد موت أبيه في سنة 711هـ ومات بتلمسان في ذي القعدة عام 793هـ في حصار السلطان أبي يعقوب بن سلطان يعقوب بن عبد الحق المدني له55سنة وكانت دولته 12سنة وكان نهبه

[1]– محمد الطمار ، المرجع السابق ،ص93

لسيوف بني مدين كأبيه يمغراسن تحرك آيه السلطان أبو يعقوب بن السلطان يعقوب بن عبد الحق من فاس الى تلمسان عام790هـ آب الى فاس ثم تحرك اليه أيضا في عام 197هـ فنازله بتلمسان وهو عام القباب.ثم تحرك اليه أيضا 197هـ فنازله بتلمسان وتسمى بحركة الدار الحمراء ثم تحرك إليه أيضا فأنزله بتلمسان عام 198هـ وشرع في بناء المدينة التي أحدث بظاهر تلمسان سماها تلمسان الجديدة واقام عليها حتى أكلوا الجيف و الحشرات وجميع الحيوانات من الفئران والعقارب والحيات و الضفادع وغير ذلك.

حتى أكل بعضهم بعضا وكانوا يفرطون ويجعلون غائطهم في الشمس حتى يعودا يابس فيطبخونه ويأكلونه وهو في كل ذلك يشدد عليهم الحصر ويقول لا وأصله عليهم حتى اقتلهم جوعا . ثم مات الأمير عثمان هذا في ذلك الحصر. وبويع ابنه محمد في الحصر وسيوف مدين تصفو في قبضتهم وقد بويع في تلمسان وهي محصورة من قبل السلطان أبي يعقوب المدني في ذي القعدة 193هـ ومات وهو في حصر السلطان أبي يعقوب المدني في شوال 197هوله 41عام وكانت دولته 4 أعوام وجاء بعده أخوه الأمير أبي حمو موسى بن عثمان بن يمغراسن الذي بويع هو أيضا بتلمسان بعد أخيه محمد وهو في صر السلطان أبي يعقوب المدني في شوال 197هـ وقتله أبوتاشفين ابنه في جمادى من عام 718هـ له 53 سنة كانت دولته 21 عاما[1]

[1]– سلامة هاني ، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان لابن الأحمر ، مكتبة الثقافة الدينية للنشر و التوزيع، ط1، 2001، ص68–71

2- الأوضاع الاقتصادية في الدولة الزيانية :

1/2- الفلاحة :

المملكة الزيانية فلاحية بطبيعة أرضها تجارية بطبيعة موقعها صناعية بطبيعة سكانها وإلقاء الجاليات الاندليسة والأسرى الأوربيين وقد هضمت حضارات الدولة الجزائرية الأولى.وأخرجت بعناية ملوكها ونشاطهم حضارة زيانية ذات صيغة ممتازة و بها ختمت الحضارات الجزائرية المحلية.

وكانت الفلاحة بهذه المملكة أهم منابع الثورة وفلاحة القمح في الدرجة الأولى ويليها غراسة الزيتون. قال يحي بن خلدون" ربما بلغت اصابة الزوج الواحد كما في سنة 758 أربعمائة مد كبير من القمح سوى الشعير والبقلاء والمدستون برشالة زنة البرشالة ثلاثة عشر رطلا .

وكانت من أنواع الفلاحة القطن والكتان وقصب السكر وسائرالحبوب و الثمار و الفواكه والبقول والرياحين مع عناية بترقية أساليب الفلاحة واستخراج المياه واستجلابها ولهذه المملكة مواصلات تجارية أهمها أوربا والسودان . فقد كانت لها مراسي كثيرة عني البكري بتعدادها ووصفها وذكرما يقابلها من مراسي للأندلس وكانت مدينة تبزيل جنوب تلمسان أل الصحراء ومنها تخرج القوافل إلى سجلماسة وورقلة[1].

[1]– مبارك بن محمد الميلي ، تقديم وتصحيح محمد الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مكتبة النهضة الجزائرية ،ج2,2004،ص483

2-2 النشاط الفلاحي:

تعتبر الزراعة إحدى عوامل الاستقرار و مؤشرا من مؤشرات الحضارة الإنسانية ، كما شكلت المورد الاقتصادي الأول للمجتمع الإنساني لمدة طويلة من الزمن ،قبل ظهور الثورة الصناعية كانت لإنسانية تعتمد في حياتها على ما تنتجه الأرض. ولم يكن المجتمع الزياني متخلف في هذا فقد كانت الحياة الاقتصادية لديه تعتمد أساسا على الزراعة بمفهومها الواسع فكانت المنتوجات الزراعية هي أساس الغذاء الإنساني .لقد استفادت الدولة الزيانية من الأندلسيين الذين هاجروا إليها وطوروا النمط الفلاحي وذلك بإدخال تقنيات زراعية متطورة وتمثلت هذه الزراعة في الحبوب من قمح والشعير والذرة ويليها غرس الزيتون بالإضافة إلى الفواكه منها حب الملوك و الإيجاص ، والعنب،و و التين ، والرمان، والخوخ و الجوز..الخ.[1]

2-3 الإنتاج الحيواني:

ساعد مناخ الدولة الزيانية على اختلاف النشاط السكاني من زراعة الحبوب والفواكه واخضر والاهتمام بتربية الحيوانات وتتمثل أساسا في الأبقار و الأغنام والماعز وهذه الأنواع من الحيوانات كانت تعيش في السهول و الهضاب العليا و تغذي الحرفيين في المدن بكميات كبيرة من الصوف

[1] خضر عبدلي, تاريخ مملكة تلمسان في عهد بني زيان,دار الأوطان,ط1,2011,ص393

والجلود، كما انتشرت في السهول وهضاب العليا تربية الخيول والبغال وكان يختمون لركوب بالإضافة إلى النحل فكانوا يربون النحل في كل من ندرومة وتنس من أجل إنتاج العسل.[1]

3- الأوضاع الاقتصادية في الدولة الزيانية

3-1 الزراعة: إن رفاهية الشعوب مرهونة بقدر منتوجاتها فإذا كان وفيرا استقبلت البلاد الازدهار و عاش أهلها في رغد العيش و النقيض, يحدث إذا جرت الأمور على خلاف ذلك .لقد كانت الدولة الزيانية فلاحية بطبيعة أرضها تجارية بمكانته موقعها و صناعية لتلاق سكانها بالجاليات الأندلسية المرتبطة بها منذ العهد المرابطي الموحدي.[2]

وقد توطد هذا الارتباط خلال العصر الزياني الذي زاد في الانصهار و التمازج بين العنصرين الذين كانت تجمعهم عوامل شتى لما كان بين البلدين من أواصر التزاوج والمبادلة و كان أفراد الشعبيين يقتبسون لقيط من الأشياء فكريا و اجتماعيا من بعضهما البعض و قد زاد ها الاحتكاك الفطري تعمقا واتساعا عن طريق رجال العلم و التجارة وغيرهما خلال منتصف القرن الثامن الهجري وبداية القرن التاسع الهجري وبعد سقوط معظم لإمارات الأندلسية في يد الاسبان وبذلك توسعت حركة الهجرة إلى بلدان المغرب فكان لهذه الهجرة أثرا فعالا في حياة المغرب

[1] لخضر عبدلي,المرجع السابق,ص394

[2] عبد الله الشريط الميلي، الجزائر في مرآة التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر, د.ت ، ص 106

الأوسط مثل تلمسان العاصمة ووهران وغيهما فنشطت الحياة الفكرية و الثقافية وتحسنت الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية وأسهم أرباب الحرف مساهمة فعالة حتى انصهرت الحضارتين في ذلك العهد في الطرافة والرصانة و امتزج الكثير منهما بالعادات والمظاهر المقتبسة من الجانبيين امتزاجا عظيما وقد أثر الطابع الأندلسي في أهالي المغرب الأوسط خاصة في ميادين التجارة و الصناعة و الموسيقى وفي مناهج أساليب الزراعة, تميز ملوك بني زيان بإنشاء البساتين حول قصورهم الأنيقة و أصل سكان الأرياف على الفلاحة وعنوا بأمرها فارتقت و تقدمت على الرغم من عدم الاستقرار وتعدد الثروات ومن ذلك زراعة الحبوب وغراس الأشجار وتربية المواشي والدواجن.[1]

أ- زراعة الحبوب:

هي القمح و الشعير و الفول والعدس و الجلبان بالدرجة الأولى كما عرفت زراعة القطن و الكتان و القصب السكري وسائر الحبوب و الفواكه و الرياحين عناية فائقة كما تفنن أهالي المغرب الأوسط في استجلاب المياه من الأنهار و استخراجها من باطن الأرض فأقاموا السدود وحفروا القنوات لتوصيل مياه السقي إلى الأماكن المحروقة وإقامة الطواحن المائية على الأنهار بحيث أصبحت الزراعة تفوق حاجيات السكان.[2]

[1] **عبد الله الشريط الميلي ,المرجع السابق ,ص 107**

[2] **ابن حوقل ,صورة الأرض ,منشورات دار مكتبة الحياة ,بيروت ,1996,ص78**

وتصدر كميات أخرى نحو الخارج حيث انتهت إلى الزوج الواحد بسهل ملاتة ناحية وهران إلى 400 مد كبير ، حيث كانت أراضي المغرب الأوسط في عهد الدولة الزيانية تنتج أكثر مما تحتاجه حتى امكنها أن تمد أهل غرناطة كل سنة بما يحتاجونه من الزرع والخيول[1].

ب- غرس الاشجار:

وهي الزيتون و التين و الكروم والرمان و السفرجل و التفاح و الكرز و المشمش و الزغدور و الخوخ و البرقوق و الجوز و اللوز و الليم و النارنج أما النخيل فكان يوجد بكثرة جنوب البلاد[2]أما تربية الحيوانات والطيور الداجنة كان سكان المغرب الاوسط يعنون بها عناية فائقة ولا سيما البقر و الغنم [3] من ضان وماعز أما البقر فلأجل الانتفاع بألبانها وزبدها ولحمها وجلدها ، علاوة على استعمال الثيران في حرث الأرض وأما الضأن فانه يعني بتربية بكثرة في البسائط و السهول من أجل الانتفاع بلحمها المفضل عند أهل المغرب الأوسط على جميع أنواع اللحوم والانتفاع بصوفها وجلدها وأما الماعز كان يعتنى بتربيته أهل الجبال و الوهاد من أجل الانتفاع بلبنه ولحمه وجلده حتى قرنه ونزيد بالتذكير الطيور الدجنة من دجاج و بط و إوز من أجل الانتفاع من بيضها ولحومها.

---

[1]- محمد المبارك الميلي, المرجع السابق ص387

[2]- محمد المبارك الميلي ، المرجع نفسه، ص 378

[3] مؤلف مجهول ,كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار,نشر وتعليق ,سعد زغلول عبد الحميد ,دار الشؤون الثقافية العامة ,العراق ,1976,ص180

كما اعتنى أهل المغرب الأوسط بتربية الخيل والبغال و الحمير ، أما هذه الأخيرة فكانت للركوب وحمل الأثقال وغير ذلك أما الخيول فكانت معدة لركوب الفرسان ، وهناك أعشاب تنبت من تلقاء نفسها تلتقط وتستعمل كأدوية مثل الشيح و الزعتر و النوخة و النابطة و فليو و العنون و الدرياس و بونافع وغيرها.وهي لا تباع عند العشابين. [1]

3-2 الصناعة:

المملكة الزيانية فلاحية بطبيعة أرضها تجارية بطبيعة موقعها صناعية بطبيعة سكانها[2]

لقد توفرت دولة بني عبد الواد صناعات متعددة نظرا لتوفر المادة الاولية من ثروة زراعية و حيوانية ومعدنية ، وبفضل هذه الثروة انتشرت الصناعات بالعاصمة و بمختلف المدن ومنها صناعة الصوف أي حياكته وصبغه وصنع اللفة و البسط و الشواشي وغيرها منه وصناعة الجلد أي دبغه وونقشه وخرفته وصنع البلغة و السروج و فصل النعال و الاحذية وصناعت عصير الزيتون و صنع الابون و صناعة الحلفاء أي ظفرها وصنع القفف والسلال وغيرها، وصناعة البناء وهي نقش الحجر وصناعة العطور والشمع والزجاج و الفخار و الحديد وصناعة الذهب و الفضة وصناعة الزليج التي تقدمت بإحداث تزويقات فيه وصناعة الثياب الرفيعة التي اشتهرت بها مدينة

[1] محمد بن رمضان الشاوش,باقة السوسان,في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بني زيان,ديوان المطبوعات الجامعية,الجزئر,1995,ص ص 223,222

[2] مبارك الميلي,المرجع السابق,ص483

تلمسان ، ونتيجة للاهتمام بشأنها جاءت المصنوعات ودقت وراجت بالرغم من طابعها التقليدي إذ هي في معظمها يدوية ومعتمدة على منتوجات البلاد.[1] فامتازت بالجودة في النوع والشكل و الدقة واللطافة و الخفة فإنك تجد البرنس أو الكساء الجيد من الحرير ليتجاوز وزنه الثماني أواق والإحرام لا يتعدى خمس أواق, وذكروا أنهم كانوا يختبرون الأكسية والملابس الرقيقة الجيدة وإخراجها من حلقة خاتم ويصدر إلى الأمصار شرقا وغربا[2].

3/3- التجارة:

لقد أدت التجارة دوراهما ورئيسا في رفاهية السكان خلال العهد الزياني وقد أشار إلى ذلك أكثر الجغرافيين و الرحالة العرب الذين تحدثوا عن المغرب الأوسط إلى أهمية النشاط التجاري فيه ونظرا لمركز الجغرافي كنقطة هامة في طريق المواصلات البرية و البحرية حيث كان قفل بلاد المغرب يربط الشرق بالغرب و الشمال بالجنوب وهو بمثابة محطة تلتقي فيه البضائع القادمة من الشمال كما كانت القوافل الجنوبية تتوافد عليه لما كانت تلقى من التسهيلات وهذا ما كان يغري التجار على الدوام ومن خلال ذلك ظلت بلاد المغرب الأوسط عدة قرون ملتقى للمبادلات التجارية بين إفريقيا السودان من ناحية و بين بلاد الأندلس من ناحية أخرى[3] ومما يجدر ذكره أنه أسست

---

[1] – لخضر عبدلي, المرجع السابق،ص191

[2] عبد الرحمان الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،دار الثقافة ، بيروت ،1982،ص ص245–246

[3] محمد الحسن الوزان ، وصف إفريقيا، ج2 ،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983،ص11

لذلك شركات التي شكلها الإخوة المقري التلمساني الذين قاموا بتنظيم المبادلات التجارية بين بلاد المغرب الأوسط وبلاد الودان فقد ربطوا طريق الصحراء بحفر الآبار وتوفير التجار واتخذوا طبلا لرحيل ورواية تقدم عن المسير وكان أبو بكر ومحمد التلمساني في مرسى هنين بتلمسان السلع المستوردة من بلاد الأندلس و جنوب أوروبا وعبد الرحمان بسجلماسة وهي همزة وصل بين تلمسان وبلاد السودان و عبد الواحد وعلي بولاية الثغر الأخير من أعمال مالي، وكان هؤلاء يقومان بوضع الاتصال بين الأسواق السودانية و المغربية و يبلغان الأخيار عن أسعار وقد صور لنا ذلك المغربي حيث قال :"وكانت تلمسان يبعث إلى الصحراوي بما يرسم له من سلع ويبعث ليه الصحراوي بجلد العاج و البقر و السلجلماسي كلسان الميزان يعرفهما بقدر الخسران و الرجان ويكاتبهما لأحوال التجار وأخبار البلدان"

تلمسان عاصمة المغرب الأوسط كانت ملتقى لعدة طرق تجارية بين البحر والصحراء من جهة و المغرب الأقصى من جهة أخرى.وقد مكنها موقعها الجغرافي من الاحتفاظ بنشاط تجاري هام حتى في الأزمات المختلفة التي مرت بها بلاد المغرب الأوسط[1].

احتلت الدولة الزيانية مكانة قيادية في التجارة بالمنطقة لما تتمتع به من خصائص جغرافية و اقتصادية، فقد كانت مدينة تلمسان بحكم موقعها المتشعب والمنطق في نفس الوقت الطرق التجارية: منطلقا للبضائع القادمة من أوروبا وغيرها من البلاد المسيحية ، ومنتهى للبضائع

[1] – لخضر عبدلي المرجع السابق،ص23

الصحراوية وعلى رئسها الذهب و بفضل هذا الموقع توفرت الأسباب لهذه الدولة لتخوض غمارة التجارة على جبهتيها الداخلية ، تجارة الصحراوية وخارجية عبر البحر الأبيض المتوسط.[1]

4/- **أهم عناصر المجتمع الزياني**: كانت العناصر المكونة للمجتمع الزياني تتشكل مما يلي:

أ-العنصر البربري:

شكل البربر أهم عنصر سكاني داخل تلمسان و محيطها في عصر الدولة الزيانية ,فالبرابرة هم أجناس كثيرة سكنوا المغرب العربي من أقدم العصور ومن جملة تلك الأجناس زناته التي استوطنت المغرب الأوسط بالخصوص الذين قال عنهم ابن خلدون "أخذوا شعار العرب في سكنى الخيام واتخاذ الإبل وركوب الخيل والتقلب في الأرض وإيلاف الرحلتين وتخطف الناس من العمران والاباية على الانقياض للنصفة"[2]

ومن تلك الأجناس الأكثر منهم بالمغرب الأوسط الذي ينتسب لهم ويعرف بهم حتى قيل وطن زناته"[3]

[1] **رشيد بورويبة وآخرون ,الجزائر في العهد الاسلامي من الفتح الى العهد العثماني ،وزارة الثقافة والسياحة ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1989 ص477.**

[2] **– عبد الرحمن ابن خلدون ، المصدر السابق ص3**

[3] **عبد الرحمان ,المصدر نفسه , ص 4**

ب- العنصر العربي:

تشمل العرب القادمين من الجزيرة العربية من القيسية واليمنية وعرفوا باسم العرب البلدين أو العرب الأفارقة وتشمل أيضا العرب الشامين الذين انتقلوالى المغرب مع كلثوم بن عياض سنة 122هـ-740م تحت عنوان الجيش الأموي القادم من الشرق لإخضاع الخارجين البربر ،ويضم العرب الباحث إلى الأوائل الجماعات التي حضرت من المشرق في وقت متأخر مثل سليمان وعائلته أو العرب الذين ينتقلون من مكان لآخر في بلاد المغرب مثل الذين انتقلوا لحكمة دولة الأدارسة داخل تلمسان باعتبارها إحدى مراكز الأدارسة بالمغرب وشكل العرب داخل المدينة عائلات خاصة بهم رغم اختلاطهم بالبربر مثل عائلة الشامي الذين منهم الفقيه أبو زيد بن مخلوف الشامي وأسرة الحسيني[1] .

ويضاف إلى هؤلاء الإعراب المتحضرين المهاجرين الأندلسين الذين شردو من ديارهم في أواخر القرن التاسع و التجئوا إلى تلمسان وغيرها من مدن المغرب الأوسط وكان هؤلاء أهل حضارة عريقة في العلوم والفنون والصنائع فنشروا حضارتهم في الأواسط المتحضرة وازدادت تلمسان وغيرها من المدن في التقدم والرقي في جميع الميادين حتى صارت تلمسان تضاهي بيئة

[1] **حسن أحمد خصاونة,طبقات المجتمع في بلاد الشام في العصر الملوكي,رسالة ماجيستير,قسم التاريخ,جامعة اليرموك,1992,ص16**

العواصم العربية الإسلامية الأخرى كغرناطة و تونس وفاس ولا تزال إلى يومنا هذا بعض الأسر المهاجرين تنسب إلى موطنها الأصلي بالأندلس[1]

5/- اليهود والنصارى :

أ-اليهود:

هو فئة قليلة كانت تعيش إلى جانب المسلمين ببلاد المغرب الأوسط وحسب ما يقال أن بعضهم سكن أجادير منذ العهد القديم ثم تضاعفت هذه الأولية أثناء العهد الزياني بعد تزاوج عدد كبير منهم من الأندلس و أوروبا تحت وطأة الاضطهاد المسيحي حيث استقبلوا من طرف الملك أبو زيان أبو حمو موسى "الثاني" وأنزلهم بالرباط من أجادير وبقوا هناك مدة من الزمن يباشرون شعاءرهم الدينية و أعمالهم اليومية بكل حرية إلى أن مرضت بنت أحد الملوك الدولة الزيانية وعجز الأطباء المسلمون عن معالجتها وكان من الوافدين على تلمسان من اليهود الحكيم يدعى "أفرايم أنكاوة" فعالجها وكان الشفاء على يده فسأله الملك عن ما يستحقه من الجزاء فقال جزائي أن تسمح لليهود بالنزول داخل تاغزارت فأذن لهم الملك فبنو حيا خاصا بهم عرف "بالحارة" وكان يهم هذا الحي نحو 500 وكانوا يتمتعون بكثير من التسامح فيقيمون الشعائر الدينية الخاصة بهم أما بالنسبة للحكيم "افرايم نكاوة"توفي في تلمسان عام 845هـ ، ودفن بقباسة خارج باب القرمادين وكانوا يأتون اليهود لزيارته وكانوا يضنعون على رؤوسهم علمائهم

[1] – عبد الرحمان الجيلالي ،ص ص195 –196

برانيس حمراء وينضمون بحزام عريض .[1] وأشار بعض المؤرخين إلى وجود اليهود في تلمسان من خلال حديثهم عن الحصار الطويل للمدينة بن سنتي 698-706هـ-1299-1307م فقد دعا الأمير أبو حمو الأول إلى قتل نساء بني عبد الواد على يد اليهود والنصاري داخل المدينة خوفا من وقوعهن في اسر بني مرين وذلك حتى يتم قتلهن بأيدي زيانية[2].

ب-النصارى:

هم أوروبيون كان هدف جلبهم إلى بلاد المغرب الأوسط نشاطهم التجاري الكشف وكانت لهم فنادق خاصة تأوي بعض تجار حبوة و البندقية إلى جانب ذلك كان يخدم داخل القصر الملكي جاريات مسيحيات وعدد كبير من الصبيان الساهرين على الحريم، كما كان في الدولة الزيانية حرس ملكي مركب من ألفي فارس من جنود نصارى وقد وضع لهم الملك يمغراسن حدا بعد المؤامرة التي تعرض لها سنة 652هـ[3].

[1] – الحسن بن محمد الفاسي الوزان,المصدر السابق ، ص ص20-21

[2]– الحسن الوزان, المصدر نفسه, ص 154

[3]– عبد الرحمان ابن خلدون, المصدر السابق،ص ص 174-175

6/– الطبقات الاجتماعية في عهد بني زيان :

أ–طبقة الحكام:

هم طبقة الملوك و الأمراء و الوزراء والولاة وهم عادة ما يكونون من الأسرة الحاكمة.

ب–**طبقة أرباب السيوف:**

هم الطبقة تشتغل بالحرب و ذلك من اسمها ولأهمية هذه الطبقة المحاربة التي كانت لها امتازت خاصة حيث كان ينال شهريا الأجرة خاصة وهذه الأخيرة تكون للرجل والفرس وكان من واجب كل جندي ان يكون فارسا محاربا[1]

ج–**طبقة رجال الدين :**

وهم في الإسلام الفقهاء و الخطباء والقضاة والعدول وقد وجدت هذه الطبقة نتيجة لحاجة المسلمين للقيام بواجبات دينهم[2].

[1] – دهينة عطا الله ، الدولة الزيانية في عهد يمغراسن ضمن كتاب الجزائر في تاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ،ج3،1989،ص489

[2] – الحسن بن محمد الوزان,ص 24

د-**طبقة أرباب الأقلام:**

وهم من اسمهم يظهر أنهم يعتمدون على صناعة القلم أي الكتابة ، وكان هؤلاء الكتاب يشتغلون في دواوين الدولة.[1]

و-طبقة ذوي المهن:

وهم من سكان المدن واصحاب المهن والحرف و التجار وقد كان من أثر الفتح العربي إستقرار الحياة في المدن مما أوجد نهضة صناعية وتجارية كانت في العصور الوسطى الاسلامية تتميز بالتخصيص في الصناعات و التجارة حيث كانت جميع الصنائع والتجارة في تلمسان الزيانية موزعة على مختلف الساحات والأزقة ويعرف من أسماء بعض الصناع والتجار في المدن الزيانية :الجزارين ،السراجين ،الغزالين ،الصباغين السمارين,الوزانين الجبارين العطارين، القرمادين ,الرماة ،الصناعة، القصارين ، الدباجين، الخراطين، الحلفاوين،الحجامين ,الجبارين

هـ- طبقة الطلبة:

كانت هي أفقر الناس لأنهم كانوا يعيشون عيشة متوسطة في مدارسهم لكنهم عندما يرتقون الى درجة أن يتعين منهم أستاذا أو عمدة أو اماما[2].

---

[1] – دهينة عطا الله ، المرجع السابق,ص ص 489،490

[2]– الوزان الحسن بن محمد ، وصف افريقيا، المرجع السابق، ص 22-23

ي – طبقة الفلاحين:

وهم غالبية سكان بني عبد الواد حيث كانت العصور الوسطى تعتمد في حياتها على الزراعة الآن الصناعة لم تظهر الا في العصورالحديثة التي تؤرخ لها بظهور حركة التصنيع[1].

كانت الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط تعرف ازدهارا كبيرا من القرن السابع الهجري الى غاية القرن العاشر الهجري وذلك راجع إلى الأسباب التالية:

5/– دور السلاطين في تطوير التعليم:

لقد أولى معظم سلاطين بني زيان يولون اهتماما كبيرا للجانب الثقافي فحرصوا على بناء المدارس ، وجلبوا إليها أكبر من العلماء للتدريس بها و الإنفاق على طلبتها ومن هؤلاء يغمراسن بنو زيان الذي كانت له رغبة كبيرة في أهل العلم فعمل على استقدامهم الى تلمسان وقابلهم بما هم أهل له كما فعل مع أبي إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي إذ لما علم بقدومه إلى تلمسان خرج إليه بنفسه[2] . وأهتم السلاطين بتشجيع الناس على طلب العلم والعرفة [3]

[1] – دهينة عطا الله، المرجع السابق ص490

[2] – عبد الله التنسي , المصدر السابق, ص 126

[3] الأعرج داودي ,العلاقات السياسية والروابط الثقافية ما بين الدولة الزيانية والحفصية مابين القرنين السابع والتاسع هجري ,جامعة معسكر, قسم التاريخ,2010,2011 ,ص 105

وبعد وفاة يغمراسن 631هـ/1283م تولى ابنه أبو سعيد عثمان 681هـ-1283/703-1302 الحكم وكان هو الآخر شديد الاعتناء بالعلم والعلماء ، فكان مجلسه يضم الكثير منهم أمثال الأديب المشهور أبو عبد الله محمد بن خميس 708هـ/1308م الذي عينه كاتبا له سنة 1272/671 أما أبو حمو موسى الأول 1308/707،718-1318م فكان هو الآخر يهتم بالجانب الثقافي ويجتهد في استقدام العلماء فلما ورد عليه ابني الإمام احتفل بهما وبنى لهما مدرسة سميت باسمهما و كان يكثر من مجالستهما والاستماع إليهما[1].وواصل ابنه أبو تاشفين عبد الرحمان الأول 1337/1318-737/718 الاعتناء بالعلم والعلماء فبنى مدرس سميت باسمه "المدرسة التاشفينية" وكان يحرص على حضور مجالس العلم كمجلس ابني الإمام ،كما كان أبو الحسن المدني الذي استولى على تلمسان و المغرب الأوسط سنة1337/737 مشجعا للعلم و العلماء وكان مجلسهم حافلا بهم وبنى مدرسة بجانب الوالي الصالح الشيخ ابن مدين شعيب.

-الحالة العلمية للمغرب الأوسط

لقد عرف العالم الإسلامي حركة علمية وازدهارا فكري وثقافي في شتى أنواع المعارف وأصناف العلوم . حيث جمعت بين أقطار المغرب روابط ثقافية ساهمت في الرقي الحضاري والازدهار الثقافي و النبوغ الفكري ، يقول العلامة ابن الحاج الفاسي خلال حديثه عن الفرق بين

[1] – عبد الله التنسي ,المصدر نفسه ص 139

علماء المشرق وبين علماء المغرب ، بوصف لباسهم وخصالهم ومستوى علمهم :"..مع أن علماء المغرب إلى الآن لا يعرفون كتاب الدروس ولا يعرجون عليها فالحمد لله بقي من الأمر بقية تعرف ببلاد المغرب العالم الكبير المرجوع إليه في الفتوى و المقلد في النوازل الذي يحضر عنده من الفقهاء الجمع الكثير إذا قعد لأخذ الدروس..."[1]

ويعتبر العلماء مصابيح العلم وبعلمهم يزدهر وبونهم يضمحل، وتقع الآمة في الجهل و الجمود الفكري والثقافي فقد أعطاهم الله رجاحة العقل و القدرة على التحمل و الفهم ونفاد البصيرة[2]

وعن عبد الله بن عمر العاص رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:"إن الله عز وجل لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبض الله العلم بقبض العلماء حتى ان لم يترك عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا."[3]

[1] – عبد الله كنون, ذكريات مشاهير رجال المغرب ابن الحاج الفاسي ،دار الكتاب اللبناني، بيروت، ب ت ، ص.21

[2]– محمد عبد العزيز الحوبي، الأدب النبوي, اعتنى به عبد المجيد طعمة الحلبي ،دار المعرفة بيروت ، لبنان ،ط2000،3،ص277

[3] ابن عبد القوي المنذري ، مختصر صحيح مسلم حققه وعلق عليه وخرج اديثه في صحيح البخاري مصطفى ديب البغا ،دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر 1999،ص553

6-المؤسسات التعليمية و الثقافية

أ. المساجد:

لقد كان للمسجد دورا كبيرا في العهد الزياني في شتى المجالات الدينية منها و الاجتماعية أو الثقافية فضلا عن إقامة الصلاة ويجتمع به الناس للذكر وتلاوة القرآن فرادى وجماعات وتدارس الكتب وقد أجاز الفقهاء ذلك من باب التعاون على البر والتقوى وخلق جو من النشاط وأدى أيضا دورا الجامعة أو المعهد[1]وكان يسمى بيت الله وكان أول أمره مكانا تفضل فيه الجماعة الإسلامية وكل مايتعلق بأمورها في النقاش السياسي او مجلس القضاء أو حتى مدرسة وقد أصبح يعرف أيضا بالجامع وقد كانت الدولة الزيانية تشرف على صيانة المساجد وتنفق على موضفيها من امام و خطيب و مؤذن وتوقف عليها أموال كثيرة[2] وكان الهدف من المساجد هو إقامة الصلاة وعبادة الله بدليل قوله تعالى (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) ..." اية 09 من سورة التوبة [3]

[1]– فيلالي عبد العزيز تلمسان في العهد الزياني ،ج1،موفم للنشر، الجزائر ،2002،ص145

[2] – بورويبة رشيد لقبال موسى ,المرجع السابق ص 147

[3] عبدلي لخضر ,المرجع السابق,ص ص 500 494

وإقامة الصلاة وعبادة الله بدليل قوله تعالى(ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا) الآية 40 من سورة الحج، وقوله تعالى (وأنتم عاكفون في المساجد) سورة البقرة الآية 187 ، ومن قوله تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) سورة الجن آية 18

من أشهر هذه المساجد بالمغرب الأوسط "مسجد أغادير" الذي بني من طرف ادريس الأول مؤسس الدولة الادريسية بالمغرب الاقصى اذ لما خلص له المغرب الأقصى نهض الى المغرب الأوسط سنة 179هـ/790م والتقى أمير زناته محمد بن جزر المغراوي ثم دخل في طاعته فملك ادريس تلمسان وبنا مسجدها ووضع منبره الذي كان مكتوبا عليه"باسم الله الرحمان الرحيم" هذا الذي أمر به ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه[1]

وجدده ابنه ادريس الثاني لما دخل تلمسان سنة 199هـ/ أما صومعته بناها يمغراسن بن زيان الذي أسس في كتابة اسمه عليه فقال ، علم ذلك عند ربي"[2] وكذا المسجد الأعظم بتلمسان بناه يوسف بن تاشفين سنة 473هـ/1080م وعدله ابنه علي بن يوسف سنة 530هـ/1350م وهوعبارة عن تحفة فنية رائعة عليه مساحة أندلسية ولقد أضيفت له زيادات عديدة كالصومعة في عهد يمغراسن بن زياد 665-668هـ/1266-1269م[3].

---

[1]– عبد الرحمان ابن خلدون,المصدر السابق ص 90

[2]– محمد ابن عبد الله ابن عبد الجليل حافظ التنسي ، المرجع السابق ص161

[3]ابن خلدون يحي بغغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد ، ترجمت و نشرت بالفرنسية ،ألفريد بل، الجزائر،1903–1910،ج1،ص 25–207

وكان لهذا المسجد دور كبير في تنشيط الحياة العلمية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان اذ كان عبارة عن معهد أو جامعة يدرس فيه جل العلوم ولا يقل أهمية عن جامع الزيتونة بتونس[1].

وقد انتابت عدة مساجد من طرف أبو الحسن (جامع القصبة الذي قال عنه بن مرزوق الخطيب أنه يشتمل على محاسن لم تجمع في مثله ، من حسن وصف وجمال بشكله وترتيب رواقاته واعتدال صحته وجامع "سيدي أبي مدين" و "جامع العباد" الذي اتصف هو الأخير بالحسن ،انفق عليه أبي الحسن مالا كثيرا وعين فيه ابن مرزوق الخطيب 710-781هـ/1310-1379م خطيبا له .[2]

بالاضافة الى هاته المساجد كانت هناك مساجد أخرى كثيرة أدت الأدوار المهمة في جميع الميادين المختلفة فضلا عن دورها الديني.[3]

العبدلي لخضر ، الحياة الثقافية بالمغرب الاوسط في عهد بني زيان ، رسالة دكتوراه في قسم التاريخ، جامعة تلمسان،2009،ص111 [1]

[2] الخطيب(ابن مرزوق ابو عبد الله محمد التلمساني) المينذ الصحيح في ماثر ومحاسن مولانا ابي الحسن ، تحقيق ماريا جينسون بغيرتا ، الشركة الوطنية للنشر ة التوزيع، الجزائر، 1981، ص402-403 .

[3] المقري أبو ليلى أحمد ابن محمد التلمساني ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب ، تحقيق يوسف الشيخ محمد بيتاعي ، دار الفكر العربي،1998،ج8/ص342

-الكتاتيب القرآنية:

كانت الكتاتيب في عهد بني زيان عبارة عن حجرات مجاورة للمسجد أو بعيدة بعض الشيئ ، واتبع بنو زيان في بناءها المأثور ، وقد خصصت هاته المؤسسات لتعليم الاطفال حفاظا على طهارة المساجد و الحفاظ علها من النجاسة،وكان أثاثها الحصير المصنوع من السمار أو الحلفاء ولكل طفل خشب مصقول ودواة للحبر وقلم من قصب جاف واناء يمحو فيه الأطفال ألواحهم ومايسمى بالمحو[1]

وكانت هذه الكتاتيب تقوم بالدرجة الاولى على تحفيظ القران الكريم ولذلك عرفت اقبالا كبيرا اذ كان سكان المغرب الأوسط و الأندلس شديدي الحرص على تحفيظ القرآن لأولادهم نظرا لما ورد من الترغيب في ذلك في النصوص الشرعية كقوله تعالى(لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) الأية 21 من سورة الحشر[2].

وقد تتبع بنو عبد الواد المأثور من الكتاتيب من حيث بناءها[3]

[1] عبدلي لخضر ، المرجع السابق ,ص 498

[2] – فرج القرطبي، أبو عبد الله ، الجامع لأحكام القران ، بتفسير القرطبي، المجلد 1 ،ط4،ص52–53

[3] – عبدلي لخضر المرجع السابق،ص 23

بالاضافة الى تحفيظ القرآن الكريم كان يتعلم الصبيان الكتابة و القراءة و الاعراب و الشعر و تفسير العديد من اللآيات القرآنية تفسيرا موجزا, اضافة لتعلم ترتيله وتجويده مستعملين فذلك أدوات وألواح ويبدأ الأطفال يوم الدراسة بحفظ القرآن الكريم من الصباح الى الضحى ثم يتعلمون الكتابة من الضحى الى الظهر و يخصص المساء لبقية المواد كالنحو و الحساب و العربية و الشعر و التاريخ.[1]

-الزوايا:

كانت الزوايا من بين أهم المؤسسات التي ساهمت في تعميم التعليم لدى الشرائح الدنيا في المجتمع العبد الوادي. وانتشرت الزوايا في بلاد المغرب الاوسط في النصف الثانمي من القرن السابع الهجري و الثالث عشر الميلادي (7هـ-13م) نتيجة انتشار التصوف و تعدد اتجاهاته وقد وجدت زاويتين في عهد السلطاان يمغراسن الأولى وهي زاوية الشيخ أبي عبد الله في تلمسان أما الثانية فهي التي يشرف عليها عبد الله بن أبي مرزوق الخطيب681هـ التي كانت تعمل على نشر تعاليم أبي مدين شعيب وكانت هذه الزاوية لها علاقة بالزاوية الملارية التي أسسها أبو يعقوب بن عمران اليوسفي هـ1317،717م وكانت الزاوية بناية ذات طابع ديني و ثقافي يقيم فيه

[1]- عبدلي لخضر المرجع نفسه ص 411-413

الشيخ الصوفي يؤدي فيها صلواته الخمس و يعتكف فيها للعبادة بخدمة المتطوعين نذروا انفسهم لخدمة الزوايا[1].

وقد حضيت باهتمام كبير من قبل سلاطين المغرب الأوسط من خلال العناية بها و الانفاق عليها واكرام شيوخها و التبرك بهم في حياتهم وبعد مماتهم مثلما كان يفعل السلطان يغمراسن بن زيان مع الكثير من المتصوفة و أبو موسى الثاني الذي أوصى بدفن الشريف الحسني المتوفي 771هـ/1369 بالقرب من قبر والده أبي يعقوب لغرض التبرك به[2]

_ المدارس :

اعتنى سلاطين الدولة العبد الوادية بنظرائم الحفصيين بتونس و المرينين بالمغرب الأقصى في بناء المدارس العليا والتكوين الموظفين في سائر المصالح الادارية للدولة ، على غرار المدارس النظامية التي أنشات في المشرق ومالم تشيده بعدها في سائر أنحاء العالم الاسلامي[3].

_ مدرسة ابني الامام: بناها السلطان ابو حمو موسى الأول 707-718هـ/1308م مابين سنتي 707-708هـ/1308-1309م اكراما و اجلالا لابني الامام أبو زيد عبد الرحمان

[1]– خالد بلعربي، المرجع السابق, ص ص 315–317

[2]– (عبد الله)التنسي المرجع السابق، ص139

[3]– عبدلي لخضر, المرجع السابق، ص 244

1942/743 وأبو موسى عيسى 1448/749 لما وفد عليه فقاما يدرسان بها وحملت المدرسة اسميهما[1].

_المدرسة التاشفينية:

فقد تم بناؤها على يد السلطان أبي تاشفين عبد الرحمان الأول ما بين سنتي 718و 737هـ بجانب المسجد الأعظم بتلمسان ليضاهي بها السلاطين بني حفص بتونس وبني مرين بفاس وقد تفنن في بنائها فجعلها قصرا من قصور الملوك حيث أودع فيها نماذج الزخارف التي احتوت عليها قصوره فخدمت العلم و الثقافة ، وكانت تشتمل على عدة بنايات ورواقات و افتتحها العلامة موسى عمران المسالي[2] وسبب بناءه المدرسة هو ملاحظته بأن المدرسة لبني الامام التي بناها والده لم تعد تكفي لأعداد الكبيرة للطلبة فأنشأ المدرسة بجانب المسجد الكبير المغرب الأوسط ، وأنفقوا عليها أموال ضخمة و حمل اليها البنائين و المتمدرسين لبنائها ، وكانت تدرس بها الحديث و الفقه و النحو و المنطق و الجدل ،و غيرها من العلوم[3]

[1]– التنسي عبد الله ، تاريخ بني زيان ، ص139

[2]– عبدلي لخضر, المرجع السابق ،ص244

[3] أحمد بن محمد المقري ، التلمساني ، المرجع السابق,[3]29

_المدرسة اليعقوبية:

شيدت هذه المدرسة سنة 756هـ/1363م بالقرب من مسجد سيدي ابراهيم المصمودي من طرف أبو حمو موسى الثاني وسماها اليعقوبية نسبة الى والده أبي يعقوب وقد احتفل لها أبو حمو كثيرا وأكثر عليها من الأوقاف ورتب فيها الجرايات وقدم فيها لتدريس العلم أبو عبد الله محمد الابن محمد الشريف الحسني الذي كان بارعا في القاء الدروس حتى أن السلطان أبو حمو كان يحضر مجلس القائه جالسا على الحصير اكراما للعلم.[1]

وكان لتأسيس هذه المدرسة الأثر الهام في بعث الحركة الثقافية بالمغرب الاوسط أيام بني عبد الواد واقبال الكثير من الطلبة على اقتناء العلوم كلها في مختلف المواد سواءا في الشريعة أو في العلوم الطبيعية ، وكانت تتكفل بمعاشهم بكيفية منتظمة، وكان سلاطين بني عبد الواد يولون اهتماما عناية لأهل العلم وأنشأت عدة مؤسسات تعليمية[2]

_ مدرسة سيدي أبي مدين:

شيدت من طرف السلطان أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني المعروف بالسلطان الأكحل وذلك لسمرة لونه اثناء احتلاله تلمسان وبلاد المغرب الأوسط سنة737هـ و حدد بناء مدينة المنصورة التي اختطها عمه أبو يعقوب مدين شعيب سنة

[1]– عبد الله التنسي ، تاريخ بني زيان ، المرجع السابق، ص 179–180

[2]– لخضر عبدلي المرجع السابق ،ص 251

748.[1]وتعد من أجمل مدارس المغرب الأوسط وهي تتكون من طابقين طابق سفلي به عشر حجرات وطابق علوي يحتوي على ثمان حجرات والمرجح أن الحجرات العلوية كانت تخص للطلبة المقيمين أي أنها عرفت النظام الداخلي كبقية المدارس[2]

_مدرسة سيدي الحلوي:

قام بتأسيس هدا المسجد السلطان المريني أبو عنان ابن أبي الحسن سنة 754هـ-135-م [3]حيث هاجر من البلاد واستقر في المغرب الاوسط سنة 655هـ 1266 وفي عهد السلطان يغمراسن بنو زيان[4]

---

[1]– لخضر عبدلي المرجع السابق ،ص246

[2]– عبد الرحمان ابن خلدون,المقدمة

[3] رشيد بورويبة,الكتابات الاثرية في المساجد الجزائرية,ب ط,ترجمةابراهيم الشيوخ,الشركة الوطنية للنشر والتوزيع,الجزائر ,1979م'ص403

[4] IBN maryam.rifelelity el bostan au jardin des biographies des et , savants de tlemcen traduit et annote par ephovenz ali pp 70

من خلال المعطيات التي أوردناها في هدا الفصل أن الدولة الزيانية حضيت بمكانة مرموقة خلال القرنين السابع والتاسع هجري وذلك بتطور العلوم في مختلف المجالات, وكان للحكام دورا كبيرا في هذه المكانة التي تمتعت بها الدولة وذلك بتشجيهم للعلماء وجلبهم من مختلف أقطار العالم خاصة العلماء الأكفاء فازدهرت الحياة الثقافية ,وأصبح المغرب وجهة يقصدها العلماء من كل مكان وكثرت بها المؤسسات الثقافية وبهدا أصبحت للدولة الزيانية حضارة استفادت منها البشرية على مر العصور .

الفصـــــل الثـــــــاني

الفصل الثاني حضارة بلاد الشام في عهد المماليك

1- الوضع السياسي:

1-1 قيام دولة المماليك

1-2: الإدارة ونظام الحكم

2- الوضع الاقتصادي في عهد المماليك

2-1: الزراعة

2-2: الصناعة

2-3: التجارة

3- الحياة الثقافية

3-1: الحياة الاجتماعية و الثقافية

3-2: الوضع المعيشي

3-3: النشاط العلمي في عصر السلاطي

1/ الوضع السياسي لقيام دولة المماليك:

1-1قيام دولة المماليك :

يعود أصل المماليك الذين تنسب إليهم المملوكية الى أجناس مختلفة أهمها: الترك وكانت مواطنهم في المنطقة الممتدة من شمال الصين و الهند الى بلاد القوقاز مرورا بتركستان و منطقة بحر قزوين وكان المسلمون منذ فتحهم لهذه المناطق في عهد الامويين يتخذونهم المهن والخدمة[1] فالمملوك عبد يباع ويشتري ، غير أن التسمية اقتصرت في معظم الدول الاسلاميةالمتأخرة على فئة من الرقيق الابيض يشتريهم الحكام من أسواق النخاسة البيضاء لتكوين فرق عسكرية خاصة في أيام السلم واضافتها الى الجيش العام أيام الحرب الحرب ثم صار المملوك الاداة الحربية الوحيدة في بعض الدول مثل دولة المماليك في مصر و الشام فالمعروف ان المعتصم العباسي(218-227هـ،833-842م)

أول من شكل فرقا عسكرية من الاتراك إذ عني بإقتناء ابناء هذا الجنس صغارا وعكف على جلبهم من سمرقند و فرغانة و السند وغيرها من الأقاليم ماوراء النهر حتى بلغت عدة مماليك بضعة عشر ألفا وامتلات بغداد بأولائك العسكر الجدد الذين ألبسهم المعتصم أفخر الملابس وسمح لهم بركوب الخيل في شوارع بغداد مما أدى الى اصطدامهم بالناس في الطرقات وانارة سخط أهل العاصمة ، ولجا الخليفة أخيرا الى الانتقال الى سامراء التي بناها لتكون عاصمة له ومقرا

[1]- عبد الرحمان ابن خلدون,المصدر السابق,ص 798-799

لجيوشه التركية من المماليك و الأحرار, هذا مجمل لما يتواتر في الكتب في أصل المماليك غير أن البحث التاريخي يتطلب الرجوع الى ماقبل المعتصم، إذ ليس المعقول أن يكون استخدام المماليك من الترك جنودا في الجيش السياسي ، جاء بغته كما تريد الكتب إن تصوره ، ولابد أن سبقت خطوات أدت إليه[1]

حكمت دولة المماليك [2]مصر و الشام من سنة 648هـ/923هـ/1250م-1517م و الذي ميز تاريخ هذه الدولة عن غيرها من دول العالم الاسلامي هو أن حكامها وجيشها كانوا عبارة عن رفيق أو مماليك، وكانو طبقة غريبة عن المجتمع المصري و اتسم تاريخهم بغلبة الطابع العسكري و الاغتيالات والحروب وادخال نظم واصلاحات جديدة في الحكم لم تكن معروفة من قبل في مصر .

[1]– العبادي أحمد المختار, قيام دولة المماليك الأولى في مصر و الشام ، دار النهضة للطباعة والنشر،بيروت،1986،ص11–12

[2]– يطلق لفظ المملوك على فئة من العبيد كان يختص فيها الخلفاء و الامراء لتكوين فرق خاصة في جيوشهم، ابن منظور المصري ، لسان العرب، مج10، دار صادر ، بيروت ، 1990،ص493

2/1- أصل المماليك:

عرف استخدام الرقيق في الجيوش الاسلامية في عهد الدولة العباسية عندما استكثر منهم الخليفة المعتصم بالله[1] وخصص لهم الأرزاق في بيت المال وقد استبد هؤلاء بالحكم وتسيير شؤون الدولة وحجروا على الخليفة العباسي[2]

و الواقع أن المعتصم استخدم الجنس التركي للتخلص من النفوذ العربي في الجيش و الحكومة سواءا ,اذ القى منذ أول خلافته أن سياسة الدولة أصبحت بسبب المنافسة الشديدة بين هاذين الجنسين ,لهذا لجأ المعتصم الى تملك الأتراك بالشراء و تربيتهم واعدادهم للجيش اعتقادا منهم خطأ بأنهم مجردون من الطموح الذي اتصف به الفرس و من العصبية التي عرف بها العرب ولكن سرعان ما أخذ اؤلائك الاتراك المماليك في التدخل في شؤون الدولة حتى أمست في أيديهم يفعلون بها مايشاءون ,ويقول ابن طباطبا في ''كتاب فخري في الاداب السلطانية'' عبارة تصف تلك الحالة في الدولة العباسية حيث قال :"أن الأتراك استولوا على الخلافة منذ مقتل المتوكل سنة 247هـ و أنهم استضعفوا الخلفاء فكان الخليفة في أيديهم كالأسير إن شاءوا أبقوه وان شاءو قتلوه"

---

[1] أبو اسحاق محمد المعتصم بالله العباسي(218-227هـ/833-842م)،بويع بعد وفاة المأمون ، كان يلقب بالمثمن، المطهر الطاهر المقدسي، كتاب البدء و التاريخ ، مج 6، مكتبة الثقافة الدينية، مصر(د ت) ،ص114-120.

[2] أحمد بن الواضح البعقوبي ، البلدان ، تح: محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية ، بيروت،2002،ص55

على أن استخدام المماليك في المجتمع الإسلامي يرجع إلى ما قبل عهد المعتصم بكثير كما يرجع استخدامهم في الوضائف الكبرى في الدولة إلى أوائل أيام العباسيين.

وأوضح الأدلة على ذلك ولاية يحي بن داود الخرسي امارة مصر سنة 962هـ-164 م من قبل الخليفة ابي جعفر المنصور ويحي هذا المملوك التركي وصفه المنصور وصفا ينبئ بكثير عما وصل اليه بعض المماليك من الترك في صدر الدولة العباسية ومن هذا يتضح ان سلطة المماليك بمصر أبعد عهدا من قيام دولتهم بها اذ اتخذ أمراء الدولتين الطولونية و الأخشيدية جنودا من المماليك و اتخذ الفاطميين من المماليك الذين اشتروهم من الأسواق أو أسروهم في الحروب طوائف أسموها "مماليك" فلفظ مملوك اذا لم يكون جديدا أوغريبا على مصر حين قامت دولة المماليك الأولى بها.[1]

2-نظام الحكم :

تزعم دولة المماليك السلطان لم يتولى الحكم نتيجة لحق شرعي هو موروث وانما رشحته قوته ومواهبه وكثرة مماليكه ليتولى ذلك المنصب.

لم يقم المماليك أي وزن سياسي لمبدأ الوراثة في الحكم كما كان الوضع عند بعض الأمم الأخرى, فهذا المبدأ غريب على عقليتهم وتفكيرهم السياسي لأنهم اعتقدوا بأن الملك جب أن يؤول إلى أقوى الأمراء شجاعة ، وأكثرهم مهارة ، وأشدهم دهاء وذكاء ، وكثيرا ما اعتلى أحد

[1] العبادي احمد المخطار ,الرجع السابق,ص ص 12 13

الأتابكة سدة الحكم على حساب ابن سيده الضعيف أو القاصر . وكذلك أحد الأقوياء ،إذ سانده أتباع كثر وجد نفسه وأوسع الثراء وذا مقدرة سياسية كبيرة ومهارة عسكرية فائقة فيلجأ إلى إثارة الفتن و الاضطرابات في وجه السلطان الحاكم للوصول إلى هدفه[1]

أما شأن التقسيمات الإدارية التي وضعها المماليك في بلاد الشام فقد قاموا بتقسيمها إلى ستة أقسام تسمى النيابات تخضع لحكومة مركزية في القاهرة ,أما هذه النيابات فهي نيابة دمشق ونيابة حلب ونيابة طرابلس و نيابة حماة ونيابة الكرك ، ويبدوا أن هذا التقسيم في حد ذاته كان ضروريا لأنه يتفق مع طبيعة بلاد الشام الجغرافية حتى أمن معظم تلك النيابات التي نراها في بلاد الشام على عصر سلاطين المماليك إنما كانت حقيقة أقسامها إدارية واضحة في العصور السابقة وتمت ملحوظة أخرى[2]

[1]طقوش سهيل محمد ، تاريخ المماليك في مصر و الشام، دار النفائس للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت ،ط3،2010،ص150

[2]عاشور سعيد عبد الفتاح، مصر و الشام في عصر الايوبيين و المماليك، دار النهضةالعربية للطباعة و النشر، بيروت،1972، ص348

3/– الوضعية الاقتصادية بالشام في عهد المماليك

أ–الزراعة:

أدرك سلاطين المماليك أهمية الزراعة للبلاد بوصفها عماد الثروة القومية ، لذلك عنوا بها عناية فائقة فانشقوا الجسور و شقوا الترع لتوفير مياه الري للأراضي التي يتعذر وصول الماء إليها وقد قسمت الأراضي الزراعية منها ما اختص للسلطان ومنها أربع قراريط و الأمراء بعشرة وما تبقى خصص للأجناد ورعي في ذلك التقسيم لان توزع الأراضي على هيئة اقطاعات تتفاوت في مساحتها وفي خصوبتها ومقدار رعيها.

وقام بفلاحة الأراضي جمهرة الفلاحين الذين عاشوا في حال من الفقر و الحرمان ولا يخفى عن الباحث في تاريخ ذلك العصر فالفلاح ظل في ذلك العصر مقيدا بالأرض التي يفني حياته في خدمتها دون ان ينتفع بنصيب كبير من خيراتها وقد تعرض الفلاحين لكثير من العنف من جانب أمراء المماليك من ناحية ومن الأعراب الذين أضفوا عليها من ناحية أخرى".[1]

ب/– الصناعة :

ازدهرت الصناعة ازدهارا كبيرا في عصر المماليك حتى أصبحت مصنوعات ذلك العصر تكون في مجموعها إنتاجا فنيا لائقا تزداد به متاحف العالم اليوم ومنها الأقمشة الفاخرة المصنوعة

[1]– عاشور سعيد عبد الفتاح ، المرجع السابق،ص266

من الحرير و الصوف والكتان و القطن التي صنعت منها مثل الستور والفرش هذا عدا المصنوعات المعدنية التي تتمثل في عدد كبير من الأواني النحاسية و الطاسات الدقيقة الصنع ذات نقوش و الكتابات الجميلة ، وانتشرت في ذلك العصر صناعة تكفيت البرونز المكفت بحيث لا تكاد دار تخلو من القطع النحاسية المكفتة أما الزجاج صنعت منه أنواع جميلة يصنعها من البلور الصخري المحبب و البعض الآخر من الزجاج الملون المستخدم في النوافذ وكذلك الخزف الذي صنعت منه الأواني المتقنة الجميلة ، وكان بعضها بناءا على توصية خاصة من السلاطين و الأمراء ولم تكن الصناعات الخشبية اقل تقدما في عصر المماليك إذ مازالت الأبواب وغيرها من المصنوعات الخشبية الباقية من ذلك العصر تشهد على دقة الصناعة وتقدم وسائلها.[1]

وقد لعبت الصناعات و الحرف دورها في الأسواق المحلية مثل سوق الشماعين و سوق النقل حتى غدت دمشق منذ عهد آل الظاهر بيبرس أهم مراكز لإنتاج الأواني الزجاجية ويليها في هذه الصناعة حلب وكانت الشام تصدر الأنواع البديعة من الزجاج البلور المصنع بها إلى مصر و العراق واسيا الصغرى و إيران وبلاد الصين مما يلفت صناعة التحف المعدنية في دمشق و حلب غايتها في عهد الناصر محمد ابن قلارون.[2]

[1]– عاشور سعيد عبد الفتاح ، المرجع السابق،ص266

[2] السيد محمود,تاريخ عرب الشام في العصر المملوكي,مؤسسة شباب الجامعة,الاسكندرية,1997,ص183

ج/– التجارة:

تعتبر الزراعة من أهم النشاطات في عصر المماليك ,ولكن رغم ذلك نجد ان الشواهد تدل على أن التجارة كان لها المقام الأول في النشاط الاقتصادي في ذلك العصر, و أنها كانت المصدر الأول و الثروة الهائلة التي عبرت عن نفسها من أعمال المماليك و حياتهم و ما تركوه من أثر و منشات فخمة, و يرجع السبب في النشاط التجاري الذي تميزت به الشام في ذلك العصر وقد أدرك سلاطين المماليك ما يمكن أن تعود به عليهم التجارة التجارية ، من ثروة فاهتموا بتنشيطها و تامين مسالكها و إنشاء المؤسسات اللازمة للتجارة كالفنادق و الحانات و الوكالات و القياس و الأسواق وغيرها كذلك حرسوا على التردد إلى قوى البحر الأحمر من ناحية وأن التجار الأوروبون المترددون من ناحية أخرى[1].

كانت التجارة تعتبر المركز الأول بالنسبة لاقتصادها ,و من أهم الدعائم للثروة والمال و يرجع السبب في ذلك موقعها الجغرافي و توسطها في العالم الإسلامي وأيضا بين الشرق و الغرب فهي تقع في الطرق التجارية منذ العصور القديمة, وقد قام التجار بدور رئيسي بما يملكون من رؤوس الأموال في تنشيط التجارة الخارجية التي تعد مصدر التجارة الحقيقية لبلاد الشام في عصر سلاطين المماليك ,وكانت التجارة قائمة بين بلاد الشام و التجار الاروبيون خاصة الايطاليين الذين كانوا يحرصون على العلاقات بينهم و بين الدولة المملوكية حتى أنهم أعادوا إحدى السفن

[1]– عاشور سعيد عبد الفتاح/ المرجع السابق، ص 268

التجارية المملوكية الذين استولوا عليها قراصنة البحر سنة 688هـ/1298م إرضاء للسلطان المملوكي قلاورن وعقد معهم صداقة واتفاقية تجارية.[1]

4/– العمران :

و من أهم المنشات العمرانية في عصر المماليك نجد:

- تجديد بناء الحرم النبوي
- تجديد بناء قبة الصخرة في القدس بعد أن تداعت أركانها.
- إعادة الصباغ الخاص بوقف الخليل بفلسطين بعد أن دخلت في الإقطاع ووفق عليه قرينة اسمها "بإذنا"
- بناء المدرسة الظاهيرة بين القصرين و عين فيها كبار الأساتذة كان من بينهم مدرسة الحنيفة الصاحب (مجد الدين ابن العديم) و المدرسة الشافعية للشيخ تقي الدين ابن رازين وولي الحافظ شرف الدين عبد المؤمن الحطامي مشيخة الحديث و الشيخ الحلي مشيخة القراء .
- إعادة بناء حصن الجزيرة بعد ان هدمه الملك المعتز.
- بناء مسجد في الأزهر في القاهرة.
- بناء القناطر و تشيد قناطر السباع.
- بناء مشهد النصر في عين جالوت لذكرى الانتصار عن المغول.

[1]– **السيد محمود، المرجع السابق، ص183**

- إعادة بناء القلاع التي هدمها المغول في بلاد الشام مثل قلعة دمشق و قلعة الصلة ، قلعة علجون وغيرها.
- تجديد أسوار الاسكندرية
- بنى مرقنا في ثغر رشيد لكشف مراكب العدو.[1]

على أن اهتمام المماليك بعمارة بلاد الشام كان يوازي اهتمامهم بعمارة مصر ذاتها ، فقد ذكر ابن إياس أن ما بلغته العمارة في الشام و مصر ، في عهد السلطان الناصر محمد ابن قلارون من المساجد و القناطر و الجسور ، وغير ذلك من العمائر و الإنشاءات زادت بمقدار النصف.[2]

5-الحياة الاجتماعية والثقافية

5-1مكونات المجتمع الشامي:

كان أهل الشام في عصر المماليك لا يختلفون عن أهل مصر ومن حيث أنهم مغلوبون على أمرين يخضعون لاستقراطية حاكمة ، استأثرت بالحكم و الوظائف و حرمتهم من المشاركة مشاركة ذات قيمة في أمور بلادهم ، وهكذا كان المماليك في بلاد الشام هم أصحاب السيادة .

[1]- طقوس محمد سهيل ، المرجع السابق ، ص 153-154

[2]- السيد محمود، المرجع السابق،ص180

و الطبقة المسيطرة ذات النفوذ و السلطة في حين خدع أصحاب البلاد الأصلين من أصل الشام للأمر الواقع ورضوا بما فعله المماليك بهم.[1]

وقد انقسم أهل ببلاد الشام الأصلين إلى قسمين:

أ/– الحضر:

إن الحضر هم أهالي المدن و القرى الشامية ، وقد اشتغلوا بالنشاط الاقتصادي من صناعة و تجارة و زراعة ، وكان كل مايطمحون فيه هو أن يلي أمرهم نائب عادل من المماليك يحسن معاملتهم و لا يحرمهم حقوقهم [2]

ومن الواضح أن النشاط الاقتصادي الذي نهض به الحضر من أهل الشام تطلب نوعا من الاستقرار و الهدوء ، مما جعلهم ينجحون إلى مسالمة المماليك ولا يحاولون الخروج عن طاعتهم أو المشاركة في الثروات التي اعتاد أن يقوم بها بعض نواب الشام بين الحين والآخر[3].

---

[1] **عاشور سعيد عبد الفتاح ، المرجع السابق،ص312**

[2] **ابن كثير ، البداية والنهاية، مكتبة المعارف ، ط1،ج13، بيروت ،1985، ص 220**

[3] **أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي،صبح الأعشى في صناعة الانشا، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ،1985 ج4،ص204**

أ/– البدو

أما بالنسبة للبدو فقد تألفوا من العشائر في بادية الشام ، وكان لكل عشيرة أفخاذها و بطونها, وعلى رأس تلك العشائر كان " آل فضل بن ربيعة" الذين امتدت منازلهم من حمص إلى قلعة جعبر إلى الرحبة ، بمعنى أنهم انتشروا بين الشام والعراق على جانبي نهر الفرات ومن الواضح أن ال فضل اضطروا بحكم موقع منازلهم إلى توزيع ولائهم بين القوى العديدة إلي تقاسمت السلطان في شمال العراق و الشام.

ومن ذلك ما يعرف عن زعيمهم عيسى ابن مهنا الذي دأب على مناصرة التتار حينا و المماليك أحيانا حتى ضاق السلطان الناصر محمد قلاوون درعا بال الفضل و طردهم ليحل محلهم إخوتهم "آل علي" ولكن الناصر محمد عاد فعفى عن آل الفضل وردهم إلى بلادهم و اقطاعاتهم ويلاحظ انه ادا كانت عشائر البدو الضاربة على أطراف دولة المماليك بالشام قد لجأت أحيانا إلى الخروج عن سلطان الدولة فانه وجد قسما آخر من تلك العشائر انتشرت في داخلية بلاد الشام و هذه كانت أكثر ارتباطا بشعور الولاء للدولة وخضوعها لسلطانها و من هذه العشائر آل مرة في حوران و آل علي في المرج و الغوطة حول دمشق ، وقد حاول سلاطين المماليك إدخال عشائر البدو وبلاد الشام في النظام الاقتصادي فأضفوا على زعماء تلك العشائر ألقابا الامرات و اقطعوهم الاقطاعات و فرضوا عليهم التزامات معينة أهمها الولاء للدولة و حراسة الطرق و الدروب الصحراوية ن وتقديم الرجال وقت الحرب ولكن عشائر البدو

رفضت الخضوع لذلك النوع من التنظيمات الحكومية التي تفقدها كثيرا من حريتها ، فأخذت ما في النظام من مميزات و في نفس الوقت تخلصت مما فيه من التزامات.[1]

6/- الوضع المعيشي و الصحي:

كانت الحياة الاجتماعية في بلاد الشام على عصر سلاطين المماليك بأنها كانت حياة صاخبة و نشيطة ومليئة بالحركة والحياة و المعروف أن المماليك أنفسهم عاشو طبقة ارستقراطية يحكمون البلاد و يتمتعون بالجزء الأكبر من خيراتها دون أن يحاولوا الامتزاج بأهلها ، ولقد شهد الرحالة الأجانب الذين زاروا الشام في ذلك العصر بعظمة ثروة أمراء المماليك و حياة الترف و النعيم التي عاشوا في ظلها، فقد استطاعت بعض الفئات من المجتمع الشامي أن يحتفظوا لأنفسهم بمكانة مرموقة في المجتمع و مستوى لائق من حيث المعيشة في حين ظل غالب أهل البلاد من العوام و الفلاحين يحيون حياة أقرب الى البؤس و الحرمان وكذلك اهتمام سلاطين المماليك بإنشاء أكثر من المنشات الاجتماعية المتنوعة مثل الفنادق و الحانات و الوكالات و الأسلية و الحمامات وغيرها.

[1] عاشور سعيد عبد الفتاح، المرجع السابق ص 341

وقد قامت المرأة بدور أعظم مما يظن البعض إذ تمتعت بقدر كاف من الاحترام مكنها من المشاركة في الحياة العامة سواء الخروج إلى الأسواق أو التردد على الحمامات أو طلب العلم بالمساجد[1].

كما امتلكت دمشق في العصر المملوكي بيرستانات منها القديم والحديث ، والحديث أكبر منها أصفاها جرايته في اليوم نحو خمسمئة عشر دينار وله قومه بأيديهم الكشوف المحتوية على أسماء المرضى و على نفقات التي يحتاجونها و الأدوية و الأغذية و غير ذلك ويبكر الأطباء كل يوم يتفقدون المرضى ويأمرون بأعداد الأدوية و الأغذية حسبا يليق بكل انسان منهم ويذكر المقريزي أن دخول الأطباء و العطارين كانت ترتفع عندما تنتشر الأوبئة عقب حوادث القحط و المجاعات فتنتشر الأمراض تبعا لذلك.

ويطلب الناس الاطباء للعلاج و لما وقع الوباء في الشام و مصر في عهد العادل كتيفا, كان كسب الواحد منهم في اليوم مائة درهم ، هذا بينما كان أجر الطبيب في الشهر الواحد سبعون درهما[2].

[1] **عاشور سعيد عبد الفتاح، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية ، القاهرة، 1962،ص270**

[2] **السيد محمود ،تاريخ عرب الشام، المرجع السابق ص 18**

7/- النشاط العلمي في عصر سلاطين المماليك:

ازدهرت الحركة العلمية في الشام في عصر السلاطين المماليك و أصبحت مركزا علميا زاهرا يقصد الطلاب من جميع أنحاء العالم الإسلامي لتلقي العلم على أيدي الأساتذة و العلماء المعرون الذين ذاعت شهرتهم ، ولقد ازدادت أهمية بلاد الشام و مصر وخاصة بعد سقوط بغداد على يد المغول.[1]

اهتم سلاطين المماليك برعاية العلم و العلماء بل لقد اشتغل بعضهم بدراسة الفقه و التاريخ و الجغرافيا و من الأسماء ، المعروفة المؤرخ ''أبو الحسن ابن تغرى بردي'' مؤلف' النجوم الزاهرة و المنهل الصافي' الذي كان ينتمي لأصل مملوكي ، و''خليل ابن شاهين '' 'مؤلف زبدة كشف الممالك و بيان طرق المسالك' ، والمؤرخ الذي تعرض لمخطوطة ''بيبرس الدوادار'' و'كتابه زبدة الذكرة في تاريخ الهجرة '، ولقد امتد اهتمامك المماليك الى المنشات العلمية ، كالمدارس و المكتبات فسارو على منهج الأيوبيين في إنشاء المدارس وكان الظاهر'' زكي الدين بيبرس ''من أول السلاطين المماليك اهتماما بالمدارس فأنشاء المدرسة الظاهيرية وألحق عليها خزانة كتب تشتمل أمهات الكتب[2]

[1] عاشور سعيد عبد الفتاح ، المرجع السابق،ص279

[2] ادوارد بيبرس ، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ، تحقيق زبيدة محمد عطا ، والبحوث الانسانية و الاجتماعية ،2001،ص17

و من أهم العلوم التي تميزت بها بلاد الشام في عهد المماليك هي:

أ/ الآداب واللغة:

لقد قسمت علوم الآداب وآداب اللسان في العصر المملوكي إلى عدة علوم كان أهمها علم اللغة وعلم التصريف' وعلم النحو و المعاني و البيان وعلم العروض و علم القوافي وعلم قوانين الخط ، وكان العلماء و الطلاب يهتمون بهذه العلوم لتعلقها بالعلوم الشرعية و ضرورتها لفهم لغتهم أحكام و معاني القران الكريم و السنة النبوية ، وتداولت عدة كتب كان يتم بموجبها تلقين هذه العلوم مثل حكم''ابن سيدة ''، ومؤلفات ابن الحاجب كالقافية في النحو و القافية الشافية ''لابن مالك'' وكتاب 'سبويه' و شروحها وغيرها.[1]

وكانت أكبر حركة في بلاد الشام في الأدب و اللغة ,و علومها في عصر الحمادين حيث بلغت حركة الشعر و النحو و اللغة في بلاد الشام ما بلغته في مصر أيضا ، فقد جعل العلماء العرب وجهتهم حلب عاصمة الدولة حيث قامت حركة الشعر و الأدب مثلما كانت في مصر و العراق.[2]

[1] أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي ، نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب ، تحقيق إبراهيم الابياري ، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني ، القاهرة ، بيروت 1990،ص ص 468-470

[2] أحمد أمين ، ظهر الإسلام ، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر ،ط1،ج1،1966، ص 165

وعرف عن سلاطين المماليك تقربهم إلى الأدباء ، و ازدهرت هذه العلوم في عهدهم و كانت مجالسهم عبارة عن ميادين للتنافس بينهم ، وعرف إنتاجهم الأدبي نثرا وشعرا ، وقد اختلفت الأغراض الأدبية, وتناول الأدباء والشعراء في مصر مختلف مظاهر الحياة في بلدهم ، وتأثر الأدب المملوكي بمؤثرات السلطة و المجتمع وعكف أهل الأدب على تصوير الواقع السياسي و الاجتماعي.[1]

ب –/التاريخ:

اهتم المماليك بالتاريخ وأهله ، وكان الظاهر بيبرس يحب سماع التاريخ ، لذلك قام السلاطين بتقريب المؤرخين إلى قصورهم من أجل تدوين سيرهم وتراجمهم و أعمالهم و امتازت الكتابة التاريخية في العصر المملوكي بمجموعة خصائص وكانت المؤلفات التاريخية انعكاسا لأوضاع ذلك العصر السياسية والاجتماعية و من أبرز هذه المميزات التي اتسمت بها كتابة التاريخ في العصر المملوكي [2] ، نضوج التاريخ كعلم قائم بذاته بعدما كان تابعا للعلوم الدينية ، والفت كتب في علم التاريخ مثلما كتبه ابن خلدون في مقدمته ووضع المنهج الذي على المؤرخ إتباعه ، كما ألف ''السيوطي'' كتاب 'الشماريخ في علم التاريخ'، وألف ''السخاوي'' 'كتاب الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ'.

[1] عبد الرحمان بالاعرج ، المرجع السابق، ص95

[2] بيبرس الدوادار ، المصدر السابق،ص32

وتنوعت المواضيع التي تناولها المؤرخون بين التاريخ العام و السياسي و العربي و الجانب الإداري.[1]

ج/ الطب:

اهتم سلاطين المماليك في الشام ومصر بالطب و كثرة الأطباء،ومنهم نذكر ''جمال الدين بن الرحبي'' الطبيب العالم ,و ''مهذب الدين عبد الرحيم المعروف بالدخوار'' و هو صاحب المدرسة الطبية بدمشق والتي عرفت بالدخوارية ونجم الدين يحي ابن اللبودي وله مدرسة عرفت باسمه بدمشق.

ولم يقتصر هؤلاء الأطباء العرب عن دراسة الطب فحسب وإنما اشتغلوا بسائر العلوم و المعارف وممن برع في لعلوم الطبيعية و الطب نجد أيضا: ''رفيع الدين الجيلي'' ، و''رشيد الصوري''، ''وعلي الدين ابن النفيس الدمشقي''، ''وموفق الدين أحمد المعروف بابن اصيبعه الدمشقي''.[2]

من خلال المعطيات التي أوردناها في هدا الفصل أن دولة المماليك التي قامت في بلاد الشام اسطاعت أن تثبت أنها أعظم قوة في المشرق حيث ازدهرت بها العلوم بشتى أصنافها وبلغت أوج حضارتها خلال القرنين السابع والتاسع ,قصدها علماء المغرب للنهل من معارف

[1] عبد الرحمان بالاعرج ، المجع السابق،ص 98

[2] السيد محمود ، المرجع السابق ، ص210

كبار المشايخ والعلماء وأصبحت الشام منارة علمية يقصدها طلاب العلم من مختلف أقطار العالم .

الفصـــــــل الثالـــــــث

الفصل الثالث الصلات الحضارية بين المغرب الأوسط وبلاد الشام

- **تمهيد:**

1- الصلات الثقافية

1-1 دور الرحلة بين المغرب الأوسط والشرق عموما

2- الصلات السياسية

1-2 الصلات الديبلوماسية الخارجية

2-2 موقف الملك الناصر من سقوط تلمسان

3-2 هدية ابن زيان الى الظاهر برقوق

3- الصلات الاقتصادية والاجتماعية

1-3 المبادلات التجارية

2-3 هجرات السكان

3-3 الحج والعمرة

4- التبادل الثقافي واكتساب العلوم والمعارف

5- نمادج من العلماء الرحالة

6- تبادل الرحلات بين المشرق والمغرب

7-دوافع استقطاب بلاد الشام للعلماء المغاربة

تمهيد:

يعتقد البعض بأن الهجرة المغربية والأندلسية الى بلاد الشام ومن بينها بيروت قد ابتدأت بعد سقوط الأندلس 1792 م ,وان كانت هذه الهجرة قد تزايدت بعد هادا الحدث الى مصر وبلاد الشام, غير أن هذه الهجرة المغاربية مع أخوانهم المشارقة كانت قديمة وتعود جذورها الى القرن الأول هجري والسابع ميلادي لا سيما بعد استقرار المسلمين في المغرب والأندلس .

فقد حدثت موجات من التفاعل والتبادل الحضاري والعلمي, والاجتماعي و السياسي و الديني بين المغرب والأندلس من جهة وبين مصر و الحجاز والعراق وبلاد الشام من جهة أخرى ,ولا نغالي اذا قلنا أن المؤثرات المتبادلة بين الاندلسيين والمغاربة ابتدات منذ أيام الأمير الأموي" عبد الرحمن الداخل ابن معاوية وابن هشام ابن عبد الملك " هذا هو صقر قريش " مؤسس الدول الأموية للأندلس ونظرا لأهمية المؤثرات الشامية في المغرب والأندلس باتت العديد من الملامح فيهما تتشابه مع الملامح الشامية خاصة منها الدينية[1].

[1] – WWW.WIKIPRDIA.COM

1- الروابط الثقافية:

تعتبر الدولة الزيانية من بين الدول التي عملت على تشجيع الحركة الثقافية والعلمية في المغرب الأوسط حين تذكر المصادر التاريخية أن السلطان يغمراسن بنو زيان (633-681هـ) الموافق ل (1236-1283) كان يحرس على مجالسة العلماء والصلحاء ويكثر من زيارتهم ولهم في أهل العلم رغبة عالية يبحث عنهم أينما كانوا يستقدمهم الى تلمسان [1].

أما السلطان أبو حمو موسى الأقل (701-718 هـ) (1301-1318) فقد كان محبا للتعليم وأهله [2].

[1]- تلمسان، بلغة البربر تلمسن كلمة مركبة من " تلم" ومعناها البحر و "سن " معناها اثنان أي الصحراء والتل ,أحمد ابن محمد المغربي التمساني نفح الطيب من عضن الأندلس الرطيب، تح احسان عباس ,ج 7 ,الجزائر ,دار الأبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، 2008 ص 133 وتعتبر تلمسان قفل لبلاد المغرب وهي على رصيف الداخل والخارج "الشريف الادريسي ,نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ص 250

[2]- يحي ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، تح, عبد الحميد حاجيات ، ج 1 المكتبة الوطنية، الجزائر 1980 ص 139.

1-1-دور الرحلة بين المغرب الأوسط والشرق عموما:

دوافعها:

كانت بلاد المشرق عموما ومصر على وجه الخصوص مفتوحة لمن يريد التجوال فيها وشد الرحال اليها ، طلبا للعلم أو حاجا أو تاجرا أو سائحا[1] وكثر عدد المرتحلين من المغرب الى المشرق باختلاف أهدافهم من الرحلة وساعدهم على عدة عوامل ودوافع يمكن تقسيمها الى عوامل جذب وأخرى عوامل طرد فمن عوامل الجدب نذكر ما يلي:

حرص سلاطين المماليك على جلب الناس للسياحة والتجارة والعلم الى بلادهم وكان السلطان المنصور قلاوون قد أصدر منشورا رسميا أعلن فيه عن الدعاية السياحية لبلده مما جاء فيه " ومن يؤثر الورود الى بلادنا الفاسحة أرجاؤها الظليلة أفياؤها وأفناءها، فليعزم عزم من قدر الله في ذلك الخير والخيرة ويحضر الى بلاد لا يحتاج ساكنها الى ذخيرة لأنها في الدنيا جنة عدن لمن فطن ومسلات لمن تغرب عن الوطن, ونزهة لا يلومها بصر و المقيم بها في ربيع دائم وخير ملازم ويكفيها أن من بعض أوصافها أنها شامة الله في أرضه [2] وكان سلاطين المماليك يخصون الوافدين اليها بالعناية الخاصة اذا كانو من بلاد المغرب لذلك ابتنو لهم المرافق

---

[1]- أبو الحسن علي أبو محمد القريشي البسطي القلصادي ، رحلة القلصادي ,تمهيد الطالب ومنتهى الراغب الى أعلى المنازل والمناقب، تح محمد أبو الأجفان, الشركة التونسية للتوزيع ,تونس ,1978 ص182

[2]- أبو العباسي أحمد القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الانشأ ,ج,13 ,ص ص 340-342.

للاقامة وأحسنوا استقبالهم واكرامهم واقتدى بهم في ذلك أهل مصر ,خاصة أهل باديتها الذين اشتهروا بنزاهتهم للفقراء والغرباء الحجيج[1].

توفر الظروف المناسبة لطالب العلم والحجيج الذين كانوا يقصدون المراكز الثقافية كالقاهرة والاسكندرية والحجاز أين توجد البقاع المقدسة من حيث الازدهار الثقافي الدي شهدته مصر والشام , وشيوع ذكر علماءها في الأقطار مما حفز المغاربة أكثر الى التوجه اليها الأخذ من العلماء والتعرف على مناهجهم وعلومهم[2].

عن عوامل الطرد نذكر منها الحالة السياسية المتردية التي كانت تعيشها بلاد المغرب على العموم مما دفع ببعض العلماء الى تفضيل مصر والارتحال اليها والاستقرار بها , كما أن تعرض بعض كبار العلماء في المغرب والمشرق سواء للحج أو طالب العلم أو التجار يتبعون دروبا ومسالك برية كانت توصلهم الى مصر ومدنها ومنها الحجاز وبلاد الشام[3].

حيث شهدت المغرب الأوسط انتشارا المذهب المالكي في العهد الزياني في العصر الذهبي خاصة في القرن الثامن هجري , ومرحلة الازدهار هذه المرتبطة يبرز المغرب الأوسط كمركز اشعاع ثقافي وحصل

---

[1]– ابن الحسنابن جبير، رحلة ابن جبير ,المؤسسة الوطنية الفنون المطبعية الجزائر، 1987 ص ص 258–259.

[2]– عبد الرحمن ابن خلدون المقدمة، ص 778.

[3] أبو العباس أحمد ابن علي القلقشندي، المصدر السابق ,ص 347.

بالمغرب الأوسط هذه القدرة خصوصا مع التراجع الذي عرفه بعض عوامل الثقافة في المغرب الاسلامي مما فسح المجال لهذه المدنية لاستقطاب العلماء واحتضان العلم من كل حدب وصوب[1].

2- الرابط السياسي

2-1- العلاقات الدبلوماسية الخارجية:

لقد ربطت سلطنة المماليك في الشام علاقات قوية مع الدول الاسلامية بشمال افريقيا أدت اليها رابطة الجوار والاسلام من جهة ورابطه الخلافة من جهة ثانية ,ورابطة الخطر المشترك الذي هدد العالم الاسلامي من جانب الغرب الأروبي من جهة ثالثة , ثم رابطة الحج لأن الشام تقع على الطريق الرئيسي الذي يوصل حجاج المغرب الى أرض الحجاز من جهة رابعة.

وتمثلت العلاقات بين الشام وبلاد المغرب في القرن 7و 9 هـ في العلاقات التي كانت سلطنة المماليك وبني ريان وبين بني مرين في فاس فيلاحظ أنها تأثرت بها,كان هناك من صداقة بين سلطنة المماليك وبين بني مرين في الوقت الذي ساءت العلاقات فيه بين بني زيان وبين بني مرين.

والواقع أن الزيانيين تطلعوا في أول الأمر الى سلاطين المماليك للحصول تأييدهم ضد أطماع بني مرين ولكن سلاطين المماليك كانو على درجة من بعد النظر جعلتهم يدركون أن بني مرين هم أضخم قوة في بلاد

---

[1]- **عبد الرحمن كريب، دور السلطة الزيانية في تمكين المذهب المالكي بتلمسان، مجلة المقتطف المصري التاريخية، السنة االثانية، العدد السادس، أكتوبر, 2011، ص 43.**

المغرب فحرصوا على اظهار الود نحوهم لاكتساب صداقتهم [1] وقد كان صاحب تلمسان سلكان ابن زيان يحاول التقرب من السلطان المملوكي في كل مرة رغم انحياز هذا الأخير الى سلطان المغرب الأقصى الذي كان على عداء مع امارة تلمسان[2].

موقف الملك الناصر من سقوط تلمسان 737 هـ – 1337 م.

في سنة 735 هـ – 1335 م تحرك أبو الحسن المريني الى مدينة تلمسان، استولى في طريقة على ندرومة وهنين [3] كما استولى على وهران [4], بعث جيوشه لاخضاع المغرب الأوسط [5] ثم نزل عاصمة الزيانيين وحاصرها لمدة سنتين وفي يوم الاربعاء 28 رمضان 737 هـ- 1337م اقتحمها عنوة وقيل السلطة

[1]– سعيد عبد الفتاح عاشور ، مصر والشام في عصر الايوين والمماليك، ةدار النهضة العلاربية للطباعة والنشر، بيروت 1972، ص 348

[2]– محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ط2 دار النفائس، بيروت، 1999، ص 270.

[3]– هنين: مدينة صغيرة قديمة بناها الأفارقة تحيط بها أسوار عائمة مبنية كما لها ميناء صغير محروس،ينظر: بيرجيس بالحسن ابن محمد الوزان، وصف افرقيا، تر، محمد حجي، محمد الأخضر، ج2، ط12 بيروت لبنان، دار الغرب الاسلامي، 1983، ص13.

[4]– وهران: أنشات سنة 290 هـ –903 م بناها جماعة من الأندلسين وهي مدينة على الساحل البحر ومحاطة بصورمن تراب متقن، نفس المصدر ، ص 612.

[5]– المغرب الأوسط : يمتد من تاهرت حتى واد ملوية وحيال تالة, قاعدته تلمسان ينقسم تاريخيا الى قسمين شرقي يسمى اقليم تاهرت وغربي يسمى اقليم تلمسان، حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس, دار الرشاد ,ص 27.

وقبل السلطان أبا تاشفين وقادته وبقتله انقرضت الدولة الزيانية [1] وعلى اثر وذلك بعث أبو الحسن المريني رسالة الى الملك الناصرابن قلاوون يخبره بما تم على يديه من الفتوح واصفا له خبر بني زيان وكيف حاصر مدينة تلمسان وضيق عليها الحصار وقذفها بالمجانيق وكيفية اقتحامها وقتل ملكها أبي تاشفين [2] فكتب له الملك الناصر برسالة هنأه فيها فيها بمنجزاته وأبدى له تأييد المماليك لبني مرين.

هدية ابن زيان الى الظاهر برقوق:

لقد قامت دولة المماليك الجراكسة ,بعث أول ملوكها الظاهر أبي سعيد برقوق بهدية الى السلطان الزياني أبي زيان محمد ابن أبي حمو سنة 779 هـ – 1397م و كانت هذه الهدية مكونة من القماش والطيب فرد عليه أبو زيان لهدية مكونة من ثلاثة من الجياد المسرجة الأقمشة ومعها قصيدة يمدح فيها الظاهر برقوق جاء فيها:

سعد الأمير أبو سعيد فانه سيف على هام العدى مسلول

ملك يحج المغرب الأقصى به فهم نحو الرسول وصول

ملك به نام الأنام وأمنت سبل المخاف فلا يخاف سبيل

[1]– عبد الرحمن ابن خلدون ,العبر وديوان المبتأ و الخبر, دار الكتاب اللبناني, بيروت, 1981, ص 536.

[2]– أبو العباس أحمد ابن علي أحمد القلقشندي، االمصدر السابق، ص 87.97.

فالملك ضخم والناب مؤمل والفضل جم والعطاء جزيل[1].

وكان من شأن هده السفارات والهدايا أن تخفف من حدة التوتر في العلاقات السياسية وفسحت المجال للدولتين لكي يربطا علاقات أخرى خاصة في المجال الثقافي.

3- الروابط الاقتصادية والاجتماعية:

1/1 المبادلات التجارية:

لا شك أن العلاقات الطيبة التي كانت بين الشام وبلاد المغرب مهدت لانتعاش التبادل التجاري والثقافي بين الطرفين , أما عن النشاط التجاري هناك اشارات الى أن الشام كانت تستورد من المغرب الخيول والزيوت وتصدر اليه المنتجات الحريرية والكتانية وتدري ابن خلدون أنه اتى الى مصر والشام على ظهر سفينة سنة 1382م كانت قد قصدت بلاد المغرب للتجارة كما دكر في موضوع أخر '' أن التجار المغاربة الى المشرق ثروتهم بعيدة لبعد السعة وغلو أسعار بضائعهم وقد كان اهتمام سلاطين بني زيان بتربية الخيول والاعتناء بها بالاختصاص في تجارة الخيول ونقلها من بلاد المغرب الى الدول المملوكية بالقاهرة وبلاد الشام

وازدهار تربيتها ببلاد المغرب البحث عن الخيول النوع المفضل في الهدايا المملوكية وبعد ان كانت أعطيات جوائزها أكثر من الابل أخذا بمذاهب العرب وبدواتهم الدولة أصبحت الخيول بمراكبها[2].

---

[1] –حجك من, 796 هـ – 1394 م 1399 م انظر: محمد بن عبد الله التنسي, تاريخ بني زيان مقتطف من نظم الذر والعقيان فيشرف بني زيان, تح: محمود بوعياد المؤسسة الوطنية للكتب، الجزائر، 1986، ص 210

[2]– أحمد ابن محمد التلمساني المقري ,المصدر السابق، ج2، ص 138.

وقد حرص سلاطين المماليك من الاستزادة من خيول بلاد المغرب لما تمتاز به من الشدة والصبر وعلى المتاعب والسرعة الفائقة فقد كلف الملك الظاهر برقوق أبي ابن خلدون بعد استقراره في القاهرة بالكتابة الى سلطان تونس, فذلك بعث اليه بخمسة جياد رائعة انتقاها من مراكبه ويبدو أن الهدية لم تنال رضى برقوق " لقلة عدد الخيل", اذ نراه يكلف يوسف ابن على زعيم أولاد حسين من عرب المعقل أثناء عودته من الحج ,بعد أن زوده بالهدايا الى السلطان المغرب أن ينتقي الأصيل من الخيول العربية ويرسلوها اليه وفي الوقت الذي استجاب فيه السلطان أبو العباس ابن أبي سالم المريني لطلب الملك الظاهر استبطأ الظاهر وصول الخيول فأرسل مملوكه فظلوا بها المكلف بتربية الخيول الى المغرب بشراء ما يشاءوا فوصل فارس فتقابل مع هدية السلطان المتثملة في خمسة وثلاثين من الخيل وعابدهم وفي خلال الطريق أضاف أبو زيان سلطان تلمسان اليهم تلاثين من الجياد وكذلك سلطان تونس أهدي ثلاثين فرسا فأصبحت جملة جياد بلاد المغرب خمسة وتسعون فرسا[1]

3-2- هجرات السكان:

ليس ارتباط المغرب بالشام وارتباط الشام بالمغرب مقصورا على الحديث العابر ولكنه تعلق تجاوز السطور، فهكذا قرأنا على جمهرة من المغاربة أشامت فتشامت.

كما سمعنا عن جمهرة أخرى من الشامين تغربوا فتمغربوا ولما استطاع المغاربة سكنوا الشام أن يحتفظوا بأسمائهم وكناهم وألقابهم, لكان علينا أن نراجع معلوماتنا حول الأسر المنسوبة اليوم الى شام ولو ان المغاربة

[1] **أحمد عمر مصطفى أبو ضيف, القبائل العربية في المغرب أثناء العدد الموحد وبني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1982 ص ص311، 312.**

الذين أدركتهم أعمارهم بالشام مما كانو يعدون مناضلين ومجاهدين، ومدارسين ومداكرين بين مبرزين ومحدثين.

ولو أنهم بعثوا من مراقدهم لكان أهل الشام اليوم أن يخططوا لمدن أخرى اذا كانو يرغبون في تجنب أزمة تضخم السكان, ولو أقمنا جردا لما وصل للشام من غرائب المغرب وصنائعه ونفائسه بعد من ذلك ما عملت فيه أيضا أيادي الملوك الأكابر لجانب الشام وما حوته الشام ، ولو أن عوادي الزمن لما تأتي على ما قدموا للمغرب من الشام مما يطرب السمع والبصر والفؤاد لكون من ذلك أروع متحف وأجمله في دنيا المعارض [1] ومع ذلك فان علينا أن نعرف أنه على ذلك الجناح البعيد من أرض العروبة توجد أسر كثيرة وردت على المغرب من الشام منذ أيام المنصور الموحدي الذي خطبه الشاعر منها يقول: " يا كمية الحرد التي حجت لها عرب الشام وغزها والديلم بل أن هناك بالمغرب الى ألاف الأسر تحمل لقب الشامي فيها العالم والفلاح والسياسي والطبيب ....الخ[2].

3-2 الحج والعمرة:

لقد كان مما زاد في الصلبة ومتن من الأسرة احتضان الشام للقدس الشريف الذي ارتبط تاريخ المغاربة منذ اللحظات الأولى التي اعتقنوا فيها الاسلام كعقيدة شدتهم اليه كل من الكعبة والمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم..... القدس الشريف التي أصبحت زيارة الشام لسبب موقعه منها ليست نافلة زائدة ولكنها من

[1]- أحمد عمر مصطفى أبو ضيف، المصدر السابق، ص ص 311، 312

[2]عبد الهادي التازي, بلاد الشام والوثائق الدبلوماسية المغربية, مجلة المؤتمر الدولي بتاريخ الشام الجامعة الأردنية، 1962، ص ص 432-431.

قبيل الفرد على كل قاصد حتى أصبحت الرحلات المغربية التي لا تتضمن ذكر الشام رحلات مغمورة فان للشام دورا بارز ليست في تاريخ دمشق فحسب ولكن تاريخ المغرب أيضا [1]

وكذلك من العلاقات الدينية التي ربطت سلطنة المماليك ودول شمال افرقيا رابطة الدين الاسلامي فاعترف ملوك المغرب بدولة المماليك الثانية على أنها وريثة دولة المماليك الأولى من حيث ضخامة الملك وشرف الولاية بالمساجد وخدمة الحرمين الشريفين[2].

يعد الحج من أركان الاسلام وكان المسلمون من مغاربة ومشارقة حرصين كل الحرص على أداء مناسكه رغم رغم مشقة ومصاعبه ويعد المسافة بين المغرب والمشرق ,أين توجد البقاع المقدسة بالحجاز مقصد المسلمين في العالم وذلك ما أكد عليه ''ابن عباد الرندي''في احدى رسائله حيث يقول (المشي الى الحج في هذه الأزمنة مما يعظم حرص الناس عليهم وتميل نفوسهم اليه ,ويأثر المشقة والقلة والغربة اللازمة له على الراحة والجدة والاقامة ,[3]

واعتنى ملوك بني زيان بركب الحج وبدلو فيه في سبل انجاحه في كل موسم ما يستطيعون من المال وتمهيد الطرق وتأمينها واقامة الدليل لركب الحجيج المغاربة وكذلك بمراسلة السلاطين مماليك وشكرهم على

[1]– عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص 431–432

[2]– عبد الرحمن ابن خلدون، المصادر السابق، ج5، ص 479.

[3] بلعرج عبد الرحمان ,المرجع السابق, ص 109

ماكنو يبذلونهم لانجاح مواسم الحج المغاربة الى البقاع المقدسة [1] وكان ملوك المغرب عامة قد اعتادو بعث الربعات الشريفة والمصاحف,وحبسها على الحرمين وكانو يكلفون كبار الشخصيات للقيام بهذا الدور الجليل [2]

كان المشارقة ياخدون العلم من المغاربة في ايطار التبادل الثقافي ميزه وجود عدة علماء وطلبة من عدة أقطار في مكان واحد مما سهل عملية الاتصال والأخذ والعطاء الثقافي والاطلاع كل شخص على المستجدات العلمية الحاصلة في بقاع العالم الاسلامي واشتهر عن الوافدين المغاربة على مكة والمدينة بأنهم كانو يجاورون فيها في غالب الأحيان في التعبد والتدريس وكان بعضهم لبعض مجاورا حتى وفاته ,وبذلك كانت رحلة الحج توفرها فرصة ثمينة تمتزج فيها الأفكار وعلماء المغرب والمشرق ويتم فيها شرف بين العلماء [3]

والواقع أن أعظم مناسبة دينية جمعت الطرفين هي موسم الحج المغربي ومكانة الدول واشرافها على الأماكن المقدسة وقد انتهجت سلاطين المماليك عامة سياسة تسهيل السبل لأداء هذه الفريضة للحجاج المسلمين ليست فقط من شمال افريقيا بل من شتى أقطاب العالم الاسلامي[4].

[1] القلقشندي,ج8,المصدر السابق,ص86

[2] التنسي ,المصدر السابق,ص 211

[3] عبد الرحمن بلعرج ,المرجع السابق ,ص112

[4] محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص403.

3-3 التبادل الثقافي واكتساب العلوم والمعارف:

لقد ظلت حضارة التام وذكر الشان والاهتمام ببلاد الشام اللازمة التي تتردد على كل لسان لبلاد المغرب و لو فتحنا أي كتاب في أي موضوع، أدب تاريخ الفقه حتما فسنجد ذكرا عبقا بعكس ما عرف عن كلمة الشعر من معنى سام ورفيع.

ويكفي أن نعرف أن اثمن أصلا لا أثر أدبي مغربي ألف على شرف أصل الشام وهكذا لو لا الشام لما تأرجحت المكتبة العربية بصفحات المقري اللازمة المغربي بل لولا الشام لما كان للمغاربة ذكر في الأندلس، أو ليس أن مدينة فاس نفسها عرفت لدى صاحب المسالك بأنها دمشق بلاد المغرب[1] .

فقد كان تجاوب قوي بين المغاربة وبلاد الشام عبر العصور فقد زاروها طلبا للعلم اذ ظلت مدن الشام كعبة طلاب العلم يوفدون عليها من بلاد المغرب ,

اذ لم يفتي بالمغاربة في الوقت نفسه أن يدونوا الكثير عن بلاد الشام كرحالة وطلبة العلم والحجاج والمجاهدين والمستطنوطنين والمؤلفين، مما جعل المكتبات المغربية غنية بالثروات والمخطوطات الهامة عن بلاد عن بلاد الشام عبر عصورها المختلفة[2].

[1]- عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص 331

[2]- كريم عبد الكريم، الشام والمغرب خلال القرن العاشر للهجرة، مجلة المؤتمر الدولي بتاريخ بلاد الشام، الجامعة الاردنية 1962، ص ص 489-490.

وقد تمثل التبادل الثقافي بيمن الشام والمغرب في كون الشام صارت محل سكن العلماء ومحو الرجال الفضلاء لذلك قصدها في ذلك العصر كثير من المغاربة العلماء منهم وهو الفضلاء، الذين حضوا بعطف السلاطين المماليك وعلى رأس هؤلاء العلماء يذكر التاريخ ابن خلدون " الذي كان له تواصل علمي وتحافظ في التدريس، أما عن ابن بطوطة الرحالة الشهير فقد رحا الى الشام ووصف ما شاهده في ربوعها في رحلته المعروفة فقد كان لطلبة تلمسان في العهد الزياني كغيرهم يرتحلون لاتمام علومهم الى العواصم العلمية الكبرى سواء منها الغربية او الشرقية كالقاهرة ودمشق والحرمين الشريفين الذي كان الداعي اليهما قبل كل شيئ، أداء فريضة الحج

وكاان يلتقون في تلك الأمصار بالعلماء الأعلام فيأخدون ما عندهم ثم يناظرونهم ثم يعودون الى وطنهم بعلم غزير يبثونهم بين الطلبة الذين يقصدونه بالأخد عنهم والارتواء من مناهله كابني الايمام أبي مرزوق الخطيب و حفيده واضرابهم وكان اكثرهم يستوطنون البلاد اللذي نزل بها يبقى فيها الى حين وفاته[1].

3-4- نماذج من العلماء الرحالة:

شهد طلاب العلم من أهل تلمسان رحلاتهم الى مختلف الحواضر المغربية والأندلس المشرقية تدفعهم الرغبة في الاستزادة من العلم على كبار شيوخ وهذه الحواضر وان الأسماء التي سنوردها على سبيل المثال لا تمثل عدد الشيوخ والعلماء، التلمسانيين الذين تحملو مشقة السفر في سبيل التحصيل والتعمق في العلوم والمعارف حتى صاروا شيوخ وعلماء، وقد ساهمو بقسط كبير باثراء النهضة الفكرية والتعلمية في أقطار المشرق

[1]- محمد ابن رمضان الشاوش، باقة السوسان في التعرف بحاضرة تلمسان، عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1995، ص 460

والمغرب التي يحلو بها خلال العهد الزياني، الا أن العدد القليل الذي سنذكره ربما يكون كافيا لاعطاء صورة واضحة على رغبة أهل تلمسان في طلب العلم والسفر من أجلهو ركوب صعابه كآل المرزوق وآل التنسي وآل الايمام و وغيرهم من البيوت والأسر التي أنجبت الكثير من العلماء والفقهاء.

وكان بعض الفقهاء التلمسانيين قد قرؤوا في مختلف المدن التي زارها قصد لقاء مشاييخها ودرسو فيها بصفة تطوعية ومنهم انظم في سلك الأساتذة بصفة رسمية لهذه الوظيفة[1] ويعتبرون من الذين ساهمو ا في بناء الحضاررة العربية سواء بالتأثير والتأثر ونذكر منهم:

- **أبا عبد الله محمد ابن أحمد ابن مرزوق الخطيب (781 هـ – 1379 م)[2]:**

اختلف المؤرخون في تحديد ميلادهم فحددها صاحب البستان سنة 710 هـ 1310 م وذكرها صاحب البغية سنة 711 هـ -1311 م وقيدها البعض الاخر بسنة 712هـ – 1312 م وسجلها ابن مرزوق ذاته في مجموعة بأن أمه حملت به في ببيتهم الكائن بزونقة حجامة بمدينة فاس، عندما كان والده يقيم بها ووالدته في أوائل ذي القعدة في سنة 711هـ-1311 م في دارهم القديمة بمرسى الطلبة بمدينة تلمسان، وكذلك اختلف المؤرخين في عدد سفرياته مع والده الى بلاد المشرق وكذلك لم يستطيعون تحديد السنة التي عاد الى الأهلي والديار بمدينة تلمسان، فقد سافر ثلاث مراة الى بلاد المشرق رفقة والده للحج فكاانت السنة الأولى سنة 717هـ – 1317 م وهو لا يتجاوز الخامسة من عمره وكان المرة الثاني ما بين سنة 724هـ –

[1]– عبد العزيز الفيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 329.

[2]– عبد العزيز الفيلالي ، المرجع السابق، ص ص 330–331.

1324 م و 729هـ- 1329 م زار خلالها مع والده مكة والمدينة مدة خمس سنوات زار خلالها القدس والخليل، قرا ابو عبد الله محمد ابن مرزوق مختلف العلوم على مشاييخ تلمسان في مسقط رأسه ثم انتقل الى بجاية ودرس علمائها ثم ارتحل الى المشرق فانصب للدرس والتحصيل في الاسكندرية ومكة والمدينة وبيت القدس في فلسطين والتقى بكبار الشيوخ هذه المدن وعلمائها وحضر مجالسه ورأى من الأولياء الصابحين عدد كبيرا ، فلبسوه مع والده حرفة التصوف[1].

- **عبد الرحمن الثعالبي " ت 875 هـ :**

هو عبد الرحمن ابن محمد ابن مخلوف الثعالبي الجزائري أبو زيد، أحد أولياء وزهاد وعلماء الجزائر، ولد بناحية واد يسر الواقع في الجنوب الشرقي من مدينة الجزائر عام 786 هـ 1384 م وهو حسب بعض الدراسات ينتمي لآل البيت عن طريق جعفر بن أبي طالب عم الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث تلقة العلم بمدينة الجزئر وضواحيها على يد بعض الفقهاء والأئمة من بينهم : أبو الحسن علي ابن عثمان المنجلاني الزواوي وأبو الربيع سليمان ابن الحسن[2] وأبو العبالس أحمد وابو القاسم المشتالي وغيرهم[3].

---

[1]– التصوف : بمعنى الحكمة ، ويتركب منها ومن كلمة فيلسوف محب وجمعها " فيلوسوفيا" اي محب الحكمة وتعني بالعربية الفسلفة، ينظر: بشير رمضان التليسي، الاتجاهات الثقافية في بلاد المغرب الاسلامي خلال القفرن الرابع هجري العاشر ميلادي، ط1، دار المدارالاسلامي، بيروت، 2003، ص ص 458-495.

[2]– ابن مريم، البسان في ذمر الاولياء بتلمسان، ط1، تح، محمد ابن شلب، ديوان المطبوعات الجامعية، قدار النشر، بيروت، 2000، ص ص64-66.

[3]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر ح/ 14 هجري ، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص 200.

أبو عمران ابن مروان هو موسى ابن محمد ابن مروان ابن جبل الهنداني الوهراني الأصل ، تلمساني المنشأ شلوباني القديم، أبو عمران ابن مروان روية عن أبيه وولي القضاء بملقى وغرناطة، وتوفي بها قاضيا في شعبان سنة ثمانية وستة مئة واحتفل الناس بنجازاته رحمه الله[1].

- **الشريف التلمساني:**

هو محمد ابن أحمد ابن يحي الادريسي الحسني المعروف بالشريف التلمساني من أشهر أعلام المالكية في المغرب ، وصفه ابن خلدون بالايمام العالم الفذ فارس المعقول والمنقول وصاحب الفروه والأصول الدينية ولد سنة 710 هـ- ونشأ في تلمسان وأخد العلم عن مشايخها ثم انتقل الى تونس سنة 740هـ وعاد الى تلمسان انتصب التدريس[2] .

- **الفقيه أبا اسحاق التنسي " 680هـ-1281م :**

الذي شرق وغرب فدرس في مسقط راسه بتنس وملیانة وشلف وقرأ بمدينة تلمسان وبجاية وتونس والقاهرة والشام حيث عرض عليه الأمير المصري الصالح قبرص وظيفة التديس في المدرس الجديدة التي شيدها بمصر المعروفة ب الطرسية فاعتذر أبو اسحاق عن هذه الوظيفة فحاول معه الأمير المصري، بتكليف تقي الدين ابن دقيق العبيد قاضي القضاة ومن كان معه من العلماء بالاتصال بأبي اسحاق واقناعه بالتدريس

[1]- يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ص 151.

[2]- ابن قنفذ الفلسطيني، معجم الوفايات، تح، عادل نويهض، ط2 ، ب ج، دار الأفاق الجديدة، بيروت، لبنان 1983، ص 368.

وخصص له مرتبا شهريا سخيا ولكن أبا اسحاق قصر على موقفه، وترك ابو اسحاق سمعة علمية في الأقطار التي زارها وكانت له هيئة عند الفقهاء والأمراء[1].

- **محمد ابن ابراهم:**

محمد ابن ابراهيم ابن عبد الله عبد الرحمن ابن محمد الامام التلمساني درس بتلمسان حتى صار له قدم في البيان والتصرف والأدب والشعر والطب، وهو أول ما كان له من غرائب الكتب المشرقية وقرا بتونس ثم أقام بالقاهرة وزار القدس وتزاحم عليه الناس بدمشق[2]

تعد دمشق في القرن الثامن من العواصم العلمية المرموقة فيها طائفة من مشاهير الأعلام,ذوي المنزلة الممتازة والشهرة الواسعة,وناهيك بالحفاظ والمؤرخين الثلاثة أبي القاسم محمد ابن يوسف البرزالي الذهبي والمزي .ويبدو أن في رحلته الثانية حاز شهرة,وأصبح معروفا في الأوساط العلمية شرقا وغربا,بسعة الرواية فتسابق الكثير لسماع القران والحديث منه ثم استجازته فيما تلقوه عنه ,ومن هؤلاء العلماء نذكر منهم:

- **قاسم ابن مظفر ابن عساكر الدمشقي :**

هو بهاء الدين أبومحمد القاسم ابن مذفر ابن محمود ابن أحمد ابن محمد ابن الحسين ابن هبة الله ابن عساكر الشافعي الدمشقي ,المولود سنة 629 هـ –1231م

[1]– عبد العزيز الفيلالي، المرجعغ السابق، ص ص 330–331.

[2]– عبد العزيز الفيلالي، مرجع نفسه، ص ص434 435.

أخذ عن جماعة ,منهم أبو اسحاق ابراهين ابن خليل ابن عبد الله الأدمي الدمشقي ,وأبو العباس أحمد ابن الحسن ابن الخضر القرشي والقاضي أبو العباس أحمد ابن خلف ابن راجح وأبو الفضل اسماعيل ابن أحمد ابن الحسين وغيرهم , وخرجت له مشيختان :صغرى خرجها عنخ علم الدين البرزالي ,وكبرى خرجها له ناصر الدين ابو عبد الله محمد ابن طغريل الصرفي تحتوي على نحو ستمائة شيخ وشيخة الى ان يقولو : '' قرات عليه وسمعت واستفدت ومما انشد فيه لغيره ,ولم يعنيه يعتدر لي عن عدم زيارته وكونه مقعدا هو المانع '' [1]

- **علي ابن ابراهيم ابن داوود ابن العطار :**

الفقيه الشافعي الدمشقي ,المولود سنة 654هـ-1256-م صاحب دار الحديث النورية التي بنيت محافظ أبي القاسم ابن عساكر,ويعرف بالنووي الصغير لملازمته الامام محي الدين النووي

أخد عن جماعة ,منهم ابو العباس أحمد ابن عبد الدايم وأبي الفتوح نصر ابن محمد ابن عباس الخيلي ,وابو الحسن علي ابن احمد ابن عبد الواحد المقدسي ,وأبو محمد اسماعيل ابن ابراهيم ابن ابي اليسر التنوخي ,هؤلاء سمع منهم وأجازوه وله سواهم جماعة ومن مسموعاتهم الكتب الستة وجل اعتماده ف منازلة النظر عن الامام محي الدين النووي ,وأخد عنهم تواليفهم[2] ,ويحكى عنهم كتيرا وولي عنه مشيخة دار الحديث النووية

---

[1] **شباب عبد الكريم ,علماء المغرب الاسلامي في بلاد الشام خلال القرون 5-8 هـ,اطروحة دكتوراه ,اشراف د ,مبخوت بودواية جامعة تلمسان ,قسم التاريخ , 1435- 1436هـ , , ص369**

[2] **شمس الدين الدهبي ,معجم شيوخ الدهبي ,تح ,روحية عبد الرحمن السوفي , دار الكتب العلمية ,بيروت ,ط1 ,1410هـ 1990م , ص86**

[1],درس وأفتى وصنف اشياءا مفيدة ,قال عنه الامام الذهبي ,خرجت معجبا في مجلد انتفعت به واحسن الي باستجازته لي كبار المشيخة ,له فضاءل وأتباع ابن العطار سنة 724هـ -1324م

- **أبو بكر ابن يوسف المزي :**

الشيخ الفقيه المزي ,المحدث زين الدين ابو بكر ابن يوسف ابن ابي بكر ان محمودا ابن عثمان ابن عبدة,المزي الشافعي الدمشقي مولده تقريبا في سنة 646هـ -1248-م يورد الوادي آشي عنه ,أنه أخد عن جماعة يطول ذكرهم منهم أبو اسحاق ابن خليل ,ابو علي الواسطي ,وأبو العباس أحمد ابن أبي الخير ابن الحداد ,واحمد ابن شيبان ابن تغلب الصالحي,وأبو العباس أحمد ابن عبد الله لين مسلم الدمشقي ,وأحمد ابن عبد الدايم ابن نعمة ابن أحمد النابلسي المقدسي ,وأبو علي الحسن ابن محمد عبد الرحمن أبي الفهم ابن عبد الرحمن البلداني وأبو محمد عبد الرحمن ابن محمد ابن أحمد ابن محمد ابن قدامي الحنبلي وأبو عبد الله حسين ابن ابراهيم الأربيلي وغيرهم

[1] **النووية:بناها نور الدين ,وهو الملك العادل أبو القاسم محمد ابن سعيد الزنكي ابن اق سنقر ,ووقف عليها وعلى من بها من المشتغلين يعلم الحديث وقوف كتيرة ,تولى ميختها الحافظ ,الكبير ابن عساكر أبي القاسم علي ابن الحسن ,ينظر :النعيمي عبد القادر ابن محمد ,الدارس في تاريخ المدارس,تح,ابراهيم شمس الدين .دار الكتب العلمية ,بيروت ,ط1,1410,1990,ص ص 75,74**

- **أحمد ابن عبد الله ابن محمد الطبري:**[1]

الشيخ المحدث الصوفي,شهاب الدين ابن العباس أحمد ابن عبد الله ابن محمد ابن محمد الطبري المدني مولدا والقدسي المنشأ شافعي المذهب,أخد عن والده وأبي محمد ابن علي الصيرفي اللخمي وشرف الدين الدمياطي,ومحي الدين عبد الله ابن الظاهر,وبرهان الدين ابن ابراهيم ابن يحي ابن يوسف العسقلاني وأبي الحسن ابن البخاري ,وجماعة الى ان يقول :

قرأت عليه لبيت المقدس – عمره الله تعالى وأجاز فيه بجميع مايحمله ويرويه –

- **محمود ابن أبي بكر القرافي :**

الشيخ المحدث الصالح اللغوي صفي الدين محمود ابن أبي بكر ابن أبي بكر ابن محمود الأرموني القرفي, من كبار الصوفية الذي سكن السميساطية [2] الخانقة الكبيرة بدمشق ,ويقال أنها كانت دار عمر ابن عبد العيز رضي الله عنه مولده تقريبا سنة 647هـ -1249-م

طلب الحديث بنفسه ,وقرأ وسمع كثيرا من الكتب المطولة من ذلك المسند ,قرأه على المسلم ابن علال لسنده وسمع على النجيب عبد اللطيف الحراني وناصر الدين المنير وغيرهم يأثر انقطاع وملازمة الأشغال ولا سيما في لغة الحديث والفحص عنه الى أن يقول ''سمعت عليه يسيرا وتناولت من يديه وأجاز في اجازة عامة في كل ما تصح الاجازة ,توفي سنة 723هـ 1323-م .

---

[1] عبد الكريم شباب ,المرجع السابق ,ص 371

[2] السميساطية :منسوبة الى أبي القاسم علي ابن محمد ابن يحي السلمي الحبشي السميساطي ,من أكابر الرؤساء بدمشق ,ينظر :محمد ابن عزوز المحدثون المغاربة في دمشق ,مركز التراث الثقافي المغربي ,دار البيضاء ,المغرب ,دار ابن حزم ,بيروت ,ط1,1431هـ, 2010م ص 217

- **عتيق ابن عبد الرحمن العمري:**

الشيخ الفقيه المحدث الصوفي ,تقي الدين أبو بكر عتيق ابن عبد الرحمن ابن أبي الفتح ابن الحسن العمري المصري مولده تقريبا في حدود سنة 560 هـ -1252-م أخذ عن أبي عيس عبد الله ابن عبد الواحد ابن علاق المصري عرف بابن الحجاج الرزاز ,وأبي العباس أحمد ابن القاضي القضاة أبي الحسن علي ابن يوسف الدمشقي,ابن البندار وابي البركات أحمد ابن محمد ابن أبي العز عبد العزيز ,وأبي بكر محمد ابن اسماعيل الأنماطي وقاضي القضاة أبي بكر ابن محمد ابن ابراهيم ابن عاد الواحد المقدسي ,وغيرهم .[1]

[1] شباب عبد الكريم ,المرجع السابق ,ص373

_ تبادل الرحلات بين المشرق والمغرب :

اعتبر عبد الرحمن ابن خلدون الرحلة في طلب العلم من الأمور التي على طلب العلم الاعتناء بها من أجل اتمام معارفه وتقويتها وتحكم اكتر في العلوم وقد علل ذلك بأن البشر يأخذون معارفه علما وتعليما والقاءا ,واما محاكاة وتلقينا وأن الاكتار من الشيوخ يعد الأفضل للطالب من أجل التمييز اصطلاحات وعلوم وتصحيح المعارف زيادة على أخذ العلم من ينابيعهم [1]وكان الأستاد ابن خلدون محمد ابن ابراهيم الابلي قد أشاد بفضل الرحلة باعتبارها أصل العلم [2] وكان طلاب المغرب الأوسط لا يكتفون بما يحصلونه في مدنهم من معارف والعلوم ,بل كانو يديشون الرحلة الى مختلف أقطار العالم الاسلامي مشرقا من أجل الاستادة من العلوم والتعمق فيها [3] وكانت الرحلة في طلب العلم توفر للطلبة مجموعة من الفوائد لقاء المشايخ والعلماء والاحتكاك بهم والأخذ عنهم وأخذ العلم عن طريق الرواية بدلا من أخذه عن طريق الكتب والمصنفات والتعرف على مناهج التعليم والمستجدات الطارئة على التخصصات العلمية المختلفة والتحكم فيها والتعرف على البلدان والشعوب وثقافاتهم وعاداتهم [4]

[1] ابن خلدون,المقدمة,المصدر السابق ,ص1044

[2]المقري ,نفح الطيب , ج6,ص,226

[3]لخضر عبدلي ,المرجع السابق ,ص,99

[4] لخضر عبدلي ,المرجع نفسه, ص 100

دوافع استقطاب بلاد الشام للعلماء المغاربة:

منذ أوائل القرن السابع هجري والثالث هجري ظهر نزوح لدى بعض الفئات من المجتمع الغربي الاسلامي,الى ترك بلادهم والتوجه الى أقطار عربية اسلامية كان ضمنها بلاد الشام التي ظل يقصدها المغاربة طيلة الفترة المتبقية خلال العصور الوسطى,خاصة الشغوفين بالعلم منهم الدين حظو باحترام وتقدير كبيرين على المستويين الشعبي والرسمي اذ أسندت اليهم أعلى المناصب الدينية والأدبية,بعد أن تحولو من تلامذة متلقين الى أساتذة مشاركين عن جدارة واستحقاق وبرزت مكانتهم اكثر سواء من خلال المدارس التي ترأسوها او درسو بها كقراء ومحدثين وفقهاء يقصدهم الطلاب من شتى الأقطار للأخذ عنهم , و من خلال مؤلفاتهم العلمية التي صنفوها في شتى حقول المعرفة ,فأسهمو بذلك في بناء صرح النهضة العلمية التي عرفها المشرق عامة ,وبلاد الشام خاصة في عهد الدولتين الأيوبية والمملوكية,[1]والجدير بالملاحظة ان عوامل الاستقطاب كانت متعددة ,الطبيعية والسياسية والفكرية والاقتصادية والنفسية ,في بلاد الشام تميزت بملاءمتها من الناحية الطبيعية والاقتصادية ,التي تجسدت بتوفير فرص العيش اضافة الى المعاملة الحسنة التي تميز بها الشاميون عن غيرهم من أهل المشرق[2] الرحلة الى الأماكن المقدسة بالشام فقد عرف عن المغاربة أنهم كانو يقصدون كلا من دمشق والقدس مع انهما ليس في طريق الحج من المغرب, ولعل الأسباب التي

---

[1]– خلفات مفتاح، قبيلة زواوة للمغرب الاوسط ما بين لبقرنين 6 و 9 هـ/ 15/12 م دراسة في دورها السياسي والحضاري، دار الامل، تيزي وزو، الجزائر ب.ت ص 419.

[2]– عبد الكريم شباب، علماء المغرب الاسلامي في بلااد الشام خلال قرون 8/5 هـ اشراف مبخوت بودواية، أطروحة دكتوراه جامعة تلمسان، قسم التاريخ، 1436، 1435، 2015/2014، ص 300.

تفسر ميل أهل العلم المغاربة الى زيارة هده الأماكن تتمثل في اثنين :اولهما مكانة القدس في نفوس المغاربة باعتبارها اولى القبلتين ومدفن الكثير من الأنبياء ,فزيارتها لا تقل عن زيارة المقدسة في الجزيرة العربية لهدا خصها أهل الحكم المغاربة بالبعثات بالاضافة الى السفرات التي كانت تحمل هده المصلحف والهدايا والاوقاف تتيح فرص للكثير من الرحالة المغاربة كي يسيطروا مع الركب وفي حمايته للقدس الشريف بل ان منهم من كان يقطن ويجاور بجانبه ,حتى أصبح لهم حي هناك لا زال يدعى حي المغاربة [1]

نستنتج من خلال المعطيات التي أوردناها في هدا الفصل أن بلاد المغرب الأوسط وبلاد الشام قد ربطت تمازج ثقافي وحضاري فحدثث موجات من التفاعل والتبادل العلمي والاجتماعي والسياسي وتأثر أهل المغرب بأهل الشام في شتى المجالات وأصبح بينهم علاقة تأثير وتأثر نظرا للمكانة المرموقة ,لكلتا البلدين وتمثلت القلاقات بينهم في العلاقات الساسية والاجتماعية والثقافية وذلك بسبب العلاقات الطيبة التي جمعت بينهم حيث مهدت لانتعاش التبادل الحضاري بينهما وأصبحت هنالك رحلات علمية بين المغرب والمشرق واستفاد منها الطرفين .

[1]– شباب عبد الكريم، المرجع السابق، ص 301.

خاتمة

خاتمـــــــــــــة

نستنتج من خلال موضوعنا أن العلاقات بين المغرب و المشرق قديمة في التاريخ , وازداد توطد هذه العلاقات بعد الفتح الاسلامي الذي قاده المشارقة باتجاه المغرب و الأندلس و أوصلوا اليهم الاسلام و العروبة و الثقافة الاسلامية عموما . لأن بالإسلام ازدهرت الحيات و تطورت , وفي ما يخص بلاد المغرب فقد ميّزتها عدّة روابط مختلفة و متنوّعة بالأقاليم المجاورة له شرقا و غربا , شمالا و جنوبا . و كانت علاقاته بمصر و الشام مميزة خاصة في جانبها الثقافي و الحضاري , وقد شملت المغرب الأوسط خلال الفترة الممتدة من القرن السابع الى القرن التاسع أي خلال فترة الحكم الزياني ازدهارا الحضاري ملحوظا من خلال اهتمام السلطانين بمختلف المجالات الاقتصادية و السياسية و الثقافية وغيرها , وكما ازدهرت حركة انشاء المؤسسات التعليمية تبعا لذلك من مساجد و مدارس في مختلف المدن الزيانية وقد تخرج من هذه المؤسسات الكثير من العلماء الذين داع صيتهم بالمغرب و المشرق بمختلف العلوم الدينية و الانسانية و الاجتماعية و العقلية .

بعد اقليم المغرب الأوسط يحقق من أهم روافد انتقال الاسلام و الثقافة العربية الى كل أقطار العالم الاسلامي و ذلك بفضل مكانته التجارية الدولية , وكذا حيوية علمائهم و صبرهم في أداء رسالتهم الحضارية .

أما بمصر خصوصا بكونها مركز الاشعاع الثقافي و العلمي في العالم الاسلامي و توزعه عبر الشام , وقد اهتم سلاطين الممالك بالمنجزات العلمية و أكثروا من انشاء المدارس و المساجد

و غيرها و التي كانت تؤدي عدّة وظائف خاصة كالتعليم , كان لهذه المؤسسات طاقم يسيرها وفق شروط معينة وكانت تنفق عليها الأموال بسخاء نظرا لوفرة المداخيل المالية من عائدات التجارة الدولية و تجارة العبور .... وذلك ما مكن الطلبة من التفرغ التام للعلم والاستفادة من أعلام العلماء في شتى العلوم .

و الذي يمكن قوله ان الحضارة ناجمة من الازدهار الثقافي الذي هو بين المغرب الأوسط و مصر وبلاد الشام و الذي كان موازيا خاصة خلال القرن الثامن هجري ,وتوطدت العلاقات بين الاقليمين عبر مراسلات الحكام الزيانيون و المماليك رغم وجود بعض النكسات التي أصابت العلاقات السياسية بسبب تفضيل الممالك للمرينين على حساب بني زيان تبعا لموازين القوى.

وأن التواصل الحضاري بين المغرب الأوسط و الأقاليم الاسلامية خاصة بلاد الشام كان له أبعاد ايجابية على الجوانب التي يشملها العديد من النشاطات في العصور الوسطى , خاصة الجوانب العلمية و الحضارية التي ساعدت في التبادل الحضاري بين الاقليمين من العمران و الاقتصاد و غيرها .

ومن هنا ارتبط المغرب الأوسط عاصمة بني زيان برباط ثقافي و حضاري و علمي و سياسي مع بلاد الشام وأدت بدورها على أتم اداء في نشر حضارة الاسلام و ثقافته بين شعوب كل أنحاء العالم الاسلامي .

البيبليوغرافيـــا

❖ قائمة المصادر والمراجع

➢ المصادر باللغة العربية:

1–ابن الاثير عز الدين ابن الحسن الجزري ، الكامل في التاريخ، ج3، ط4، دار الكتاب العربي، بيروت,1967

2–ابن الحزم الاندلسي، جمرة انساب العرب، تح، عبد السلام محمد هارون، دار المعارف ، مصر، 1962.

3–ابن الزرع علي الفاسي,الأنيس المطرب بروض القرطاس في ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس,دار المنصور للطباعة والوراق,الرباط,1972.

4–ابن الكثير، التعريف بالاعلام الواردة في البداية والنهاية، دار التقوى، القاهرة، ط1، 1999.

5–ابن خلدون (ابو زكريا يحي بن محمد) ، بغية الرواد في ذكر ملوك من بنو عبد الواد ، تقديم و تحقيق عبد الحميد حاجيات المكتبة الوطنية، الجزائر ، 1980، ج1.

6–ابن خلدون ابو زيد عبد الرحمان، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذي السلطان الاكبر، المجلد1، ج5، دار الكتاب اللساني ، بيروت، 1981.

7–ـــــــــــ بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد ، ترجمت و نشرت بالفرنسية ،ألفريد بل، الجزائر،1903–1910،ج1.

8–ابن كثير ، البداية والنهاية، مكتبة المعارف ، ط1،ج13، بيروت ،1985، ص 220

9- ابن منظور المصري ، لسان العرب، مج10، دار صادر ، بيروت ، 1990.

10-أبو العباس احمد بن علي بن احم القلقشندي ، نهاية الارب في معرفة قبائل العرب تحقيق إبراهيم الابياري ، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني ، القاهرة ، بيروت 1990.

11-أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي،صبح الأعشى في صناعة الأنشى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ،1985 ج4.

12-أحمد بن الواضح اليعقوبي ، البلدان ، تح: محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية ، بيروت.

13-ابن حوقل أبو القاسم محمد ابن علي الموصلي البغدادي ,صورة الأرض ,منشورات دار مكتبة الحياة ,بيروت ,1996

14-الحسن بن محمد الفاسي، الوزان, وصف افريقيا ، ج1، ط1، دار المغرب الاسلامي ، بيروت ،1983.

15-الخطيب(ابن مرزوق ابو عبد الله محمد التلمساني) المسند الصحيح في مأثر ومحاسن مولانا أبي الحسن ، تحقيق ماريا خيسوس بغيرتا ، الشركة الوطنية للنشر ة التوزيع، الجزائر، 1981. .

16-عبد الرحمان ابن خلدون,العبر وديوان المبتدا والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من دوي السلطان الاكبر,ج7,دار الكتاب المصري,1999.

17-محمد الحسن الوزان ، وصف إفريقيا، ج 1ج2 ،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983.

18–محمد بن عبد الله التنسي ، تاريخ بنو زيان ملوك تلمسان ، مقتطف من الدر العقيان في بيان شرف بنو زيان، تح :محمود أغا أبو عياد , موفم للنشر ، الجزائر .

19–المقري أبو ليلى احمد أبن محمد التلمساني ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب ، تحقيق يوسف الشيخ محمد بيتاعي ، دار الفكر العربي،1998، ج8.

20–كتاب الاستبصار في عجاءب الأمصار ,نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد ,دار الشؤون الثقافية العامة ,العراق,1976

21–النعيمي عبد القادر ابن محمد الدارس في تاريخ المدارس ,تح,ابراهيم شمس الدين ,دار الكتب العلمية,بيروت ,ط1,1990

22– الدهبي أبي عبيد الله شمس الدين محمد ابن أحمد ,أهل المائة تحقيق ابو عبد الله الكندري ,دار ابن الحزم ,بيروت ط1,1997

23– ابن جبير أبو الحسن محمد ابن الحسن البرنسي ,614هـ م1217 رحلة أبو جبير,المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ,الجزائر ,1986

24–السيوطي جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر911هـ م1505,تاريخ الخلفاء ,تحقيق ابراهيم زهوة ,سعيد ابن محمد العيد الروسي ,دار الكتاب العربي ,بيروت ,2005

ـــــــــــ:نظم العقيان في أعيان الأعيان حرره فليحتي ,المطبعة السورية الأمريكية ,نيويورك ,1927

25–الغبريني أبو العباس أحمد ابن أحمد 704هـ 1304م ,الدراية في من عرف العلماء في المائة السابعة في بجاية ,تحقيق رابح بونار ,الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ,الجزائر ,1981

25-القلصادي أبو الحسن علي ابن محمد القريشي البسطي 891هـ486م ,رحلة القلصادي تمهيد الطلب ومنتهى الراغب الى أعلى المنازل والمناقب,تح,محمد أبو الأجفان,الشركة التونسية للتوزيع,تونس ,1978

26-العريني الباز,المماليك ,المؤلف المساعد عبد الكريم محمد,بيروت ,دار النهظة العربية1979

27-بيبرس ادوارد الأمير ركن الدين ابن عبد الله المنصوري ,725هـ1324م,زبدة الفكر في تاريخ الهجرة ,تح,زبيدة محمد عطاء عين للدراسات و البحوت الانسانية والاجتماعية,القاهرة,2001

28-ابن عبد القوي المندري ,مختصر صحيح مسلم ,حققه وعلق عليه,في صحيح البخاري مصطفى ديب البغى ,مطبعة لجنة التأليف للترجمة والنشر ,ط1,1966

المصادر باللغة الأجنبية:

1. Iben maryame. Riflility. El bostan au jardin des biagaphies
   des savantts de telemcen. Et annot par eprovenz ali . p70

المراجع باللغة العربية:

1-أحمد أمين ,ظهر الاسلام,مطبعة لجنة التأليف ,طبعة 1966,1

2–الميلي مبارك,تاريخ الجزائر ف القديم والحديث,ج2,المؤسسة الوطنية للكتاب,دون, س,ط

3–الجيلالي عبد الرحمن,تاريخ الجزائر العام,ج 1,ديوان المطبوعات الجامعية,الجزائر ,دار الصقافة بيروت 1982

4–بوعزيز يحي,مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط ,دار الغرب الاسلامي للنشر والتوزيع ,وهران 2004

5–بوعياد محمود,جوانب من الحياة من المغرب الأوسط من القرن التاسع هجري والخمس عشر ميلادي ,الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ,الجزائر ,1981

6–بونار رابح ، المغرب العربي ، تاريخه و ثقافته ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، د ت ,ص ص 19–20

7–حاجايات عبد الحميد و آخرون، كتاب مرجعي حول تاريخ الجزائر في العصر الوسيط ,طبعة خاصة، د ت.

8–خالد بلعربي ، الدولة الزيانية في عهد يمغراسن، الجزائر ، دار المعية للنشر و التوزيع ط1،2011.

9–دهينة عطا الله ، الدولة الزيانية في عهد يمغراسن ضمن كتاب الجزائر في تاريخ، المؤسة الوطنية للكتاب الجزائر ،ج 3،1989.

10–رشيد بوروبة وآخرون ن العهد الاسلامي من الفتح الى العهد العثماني ،وزارة الثقافة والسياحة ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1989 .

11-ـــــــــــ,الكتابات الاثرية في المساجد الجزائرية,ب ط,ترجمةابراهيم الشيوخ,الشركة الوطنية للنشر والتوزيع,الجزائر ,1979م.

12-سلامة هاني ، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان لابن الاحمر ، مكتبة الثقافة الدينية للنشر و التوزيع، ط1، 2001.

13-السيد محمود,تاريخ عرب الشام في العصر المملوكي,مؤسسة شباب الجامعة,الاسكندرية,1997.

14-صبحي عبد المنعم ، دراسات في تاريخ المغرب العربي، دار العربي للنشر و التوزيع،ط،2000.

15-طقوش سهيل محمد ، تاريخ المماليك في مصر و الشام، دار النفائس للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت ،ط2010،3.

16-عاشور سعيد عبد الفتاح، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية ، القاهرة، 1962.

17-ـــــــــــ، مصر و الشام في عصر الايوبيين و المماليك، دار النهضةالعربية للطباعة و النشر، بيروت،1972.

18-العبادي أحمد المختار, قيام دولة المماليك الأولى في مصر و الشام ، دار النهضة للطباعة والنشر،بيروت،1986.

19-عبد العزيز محمود لعرج ، مدينة المنصورة المرينية بتلمسان ، دراسة تاريخية أقرية غي عمرانها و عمارتها و فنونها ، الناشر مكتبة زهراء الشرق الجزائر ،ط2002،1.

20-عبد الله الشريط، الميلي، الجزائر في مرآة التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر د.ت

21–عبد الله كنون, ذكريات مشاهير رجال المغرب ابن الحاج الفاسي ،دار الكتاب اللبناني، بيروت، ب ت .

22–فرج القرطبي، أبو عبد الله ، الجامع لأحكام القران ، بتفسير القرطبي، المجلد 1 ،ط4.

23–فيلالي (عبد العزيز)، تلمسان في العهد الزياني ،ج1،موفم للنسر، الجزائر، 2002.

24–فيلالي عبد العزيز تلمسان في العهد الزياني ،ج1،موفم للنشر، الجزائر ،2002.

لخضر عبدلي تاريخ مملكة تلمسان في عهد بني زيان,دار الاوطان,ط1,2011.

25–مبارك بن محمد الميلي ، تقديم وتصحيح محمد الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مكتبة النهضة الجزائرية ،ج2004،2.

26–مبارك محمد الميلي,تاريخ الجزائر في القديم والحديث,تقديم وتصحيح محمد الميلي,المؤسسة الوطنية للكتاب(دت).

27–محمد الطمار ، تلمسان عبر العصور ، المؤسسة الزطنية للكتاب، الجزائر،1984.

28–محمد بن رمضان الشاوش,باقة السوسان,في تعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بني زيان,ديوان المطبوعات الجامعية,الجزئر,1995.

29–محمد عادل عبد العزيز، الجذور الأندلسية في الثقافة المغربية ، دار غريب للطباعة والنشر و التوزيع ، القاهرة،2004

30–محمد عبد العزيز الحوبي، الأدب النبوين اعتنى به عبد المجيد طعمة الحلبي ،دار المعرفة بيروت ، لبنان ،ط2000،3.

31مفتاح خلفات، قبيلة زواوة بالمغرب الاوسط ما بين القرنين 6-9 هـ/ 12-15م، دار الأمل ، الجزائر بدون تاريخ.

32–بواعنة لؤي، دور العلماء المسلمين في مقتولة الغزو الفرنجي (الصليبي) للمشرق الاسلامي 490-648 هـ/ 1250/1097م، دار اليزوري العلمية للنشر والتوزيع، الاردن 2007.

33–محمد ابن عزوز ,المحدثون المغاربة في دمشق ,مركز التراث الثقافي المغربي ,الدار البيضاء,دار ابن الحزم ,بيروت ,ط1 ,2010

الرسائل الجامعية:

1–بسام كامل عبد الرزاق شغدان : تلمسان ، العهد الزياني (633–962هـ/1235–1555م) رسالة ماجستير منشورة في التاريخ ، جامعة النجاح الوطنية فلسطين،2002.

2–حسن احمد خصاونة:طبقات المجتمع في بلاد الشام في العصر الملوكي,رسالة ماجيستار,قسم التاريخ,جامهة اليرموك,1992.

3–شباب عبد الكريم: علماء المغرب الاسلامي في بلاد الشام " خلال القرون 5.8 هـ"، اشراف مبخوت بودواية، جامعة، تلمسان، قسم تاريخ، 1435–2014/1436–2015.

4–العبدلي لخضر : الحياة الثقافية بالمغرب الاوسط في عهد بني زيان ، رسالة دكتوراه في قسم التاريخ، جامعة تلمسان،2009.

5–مكيوي محمد: الأوضاع السباسبة و الثقافية لدولة لني عبد الواد، رسالة ماجستير ، قسم تاريخ، جامعة تلمسان،2005.

6–بلعرج عبد الرحمان :العلاقات الثقافية بين الدولة الزيانية والمماليك ,رسالة ماجستار ,قسم التاريخ ,جامعة تلمسان 2006

7–بختي حمزة:الأهمية الاقتصادية للمرافيء بالمغرب الأوسط في العهد الزياني ,رسالة ماستر ,قسم التاريخ ,اشراف دلباز محمد ,جامعة سعيدة 2014

08–الأعرج داودي : العلاقات السياسية والروابط الثقافية مابين الدولتين الزيانية والحفصية مابين القرنين السابع والتاسع هجري والتالت عشر والخامس عشر ميلادي .رسالة ماجيستار ,قسم التاريخ ,المشرف ,عبيد بوداود ,جامعة معسكر ,2011

الموسوعات والمجلات:

1–التازي عبد الهادي : مجلة المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام، بلاد الشام في والوثائق الدبلوماسية المغربية، الجامعة الاردنية، 1962.

2–شاكر مصطفى : موسوعة دول العلم الاسلامي و رجالها، ج2، ط1، دار العلم للملايين، لبنان 1993.

3–فارس محمد : موسوعة علماء العرب والمسلمين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، الاردن 1993.

4–الكريم عبد الكريم :المؤتمر الدولي لبلاد الشام ,الشام والمغرب خلال القرن العاشر للهجرة ,الجامعة الأردنية 1962

–المواقع الالكترونية:

WWW.DIMASHKIAT.COM

WWW.WIKIPEDIA.COM

WWW.OSHARKALAARABI.ORG

WWW.IBTESAMA.COM

WWW.ABNAABEIRUT.COM

WWW.ISLAMONLINE.NET

الملاحق

الملحقرقم1 :

مخطط مدينة تلمسان في العهد الزياني وأهم المؤسسات التعليمية

المرجع : التنسي ، تاريخ بني زيان ، ص : 291 .

الملحقرقم2:

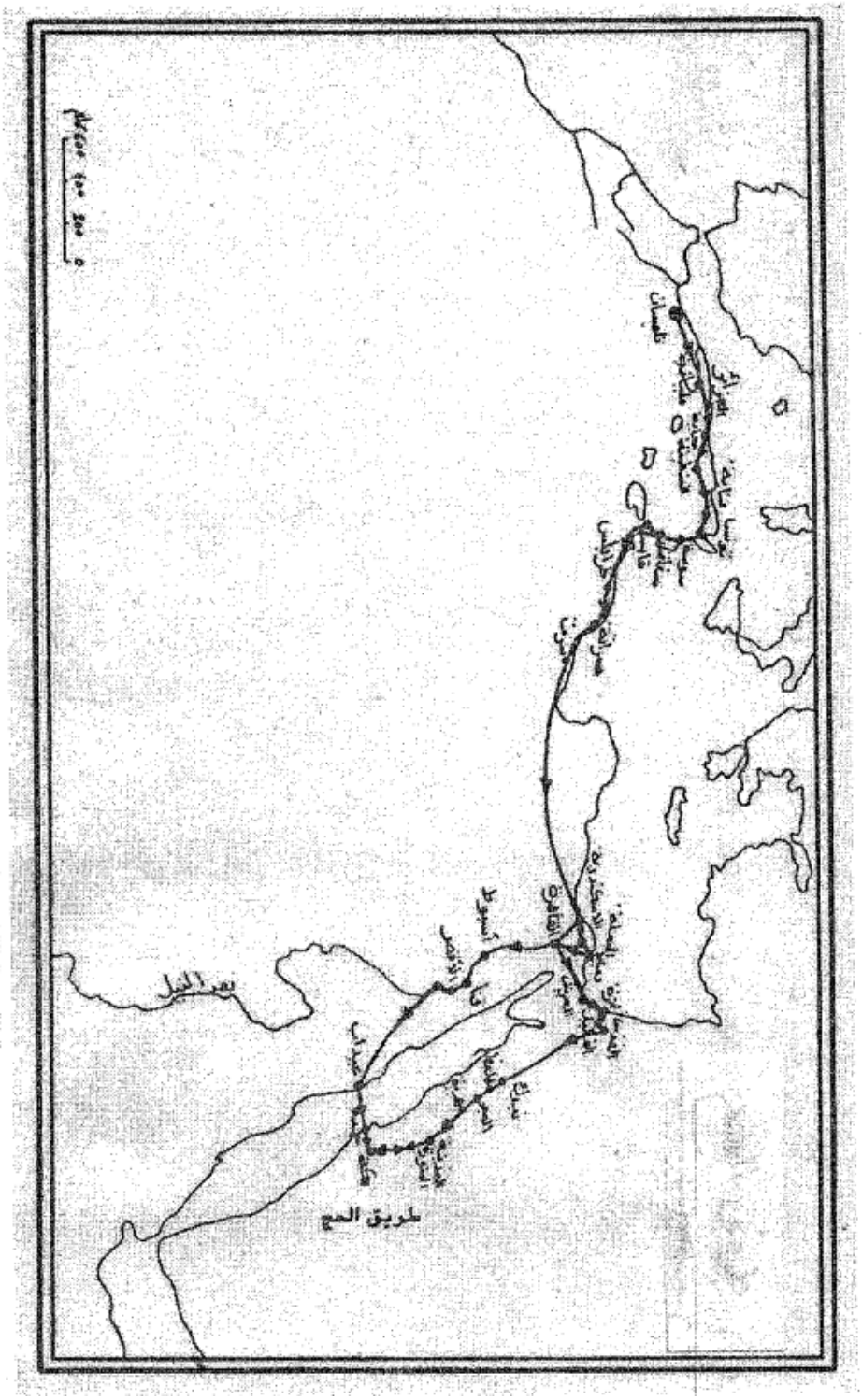

طريق الحج من تلمسان إلى البقاع المقدسة بالحجاز

الملحقرقم3 :

الرحلة في طلب العلم بين تلمسان
والمراكز الثقافية في المغرب والمشرق
المدينة
مكة
دمشق
الإسكندرية
القاهرة
طرابلس
تونس
بجاية
تلمسان
غرناطة
فاس

الملحقرقم4 :

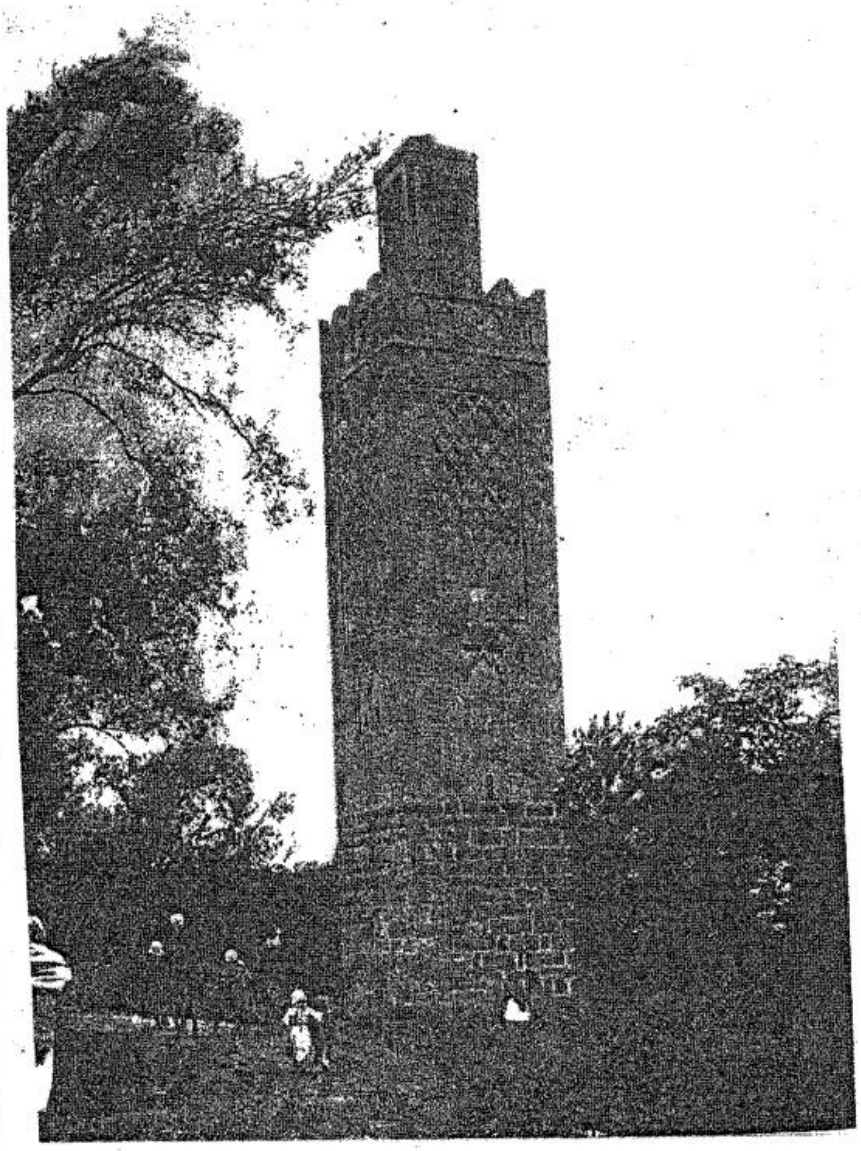

منارة مسجد أغادير

الملحقرقم5 :

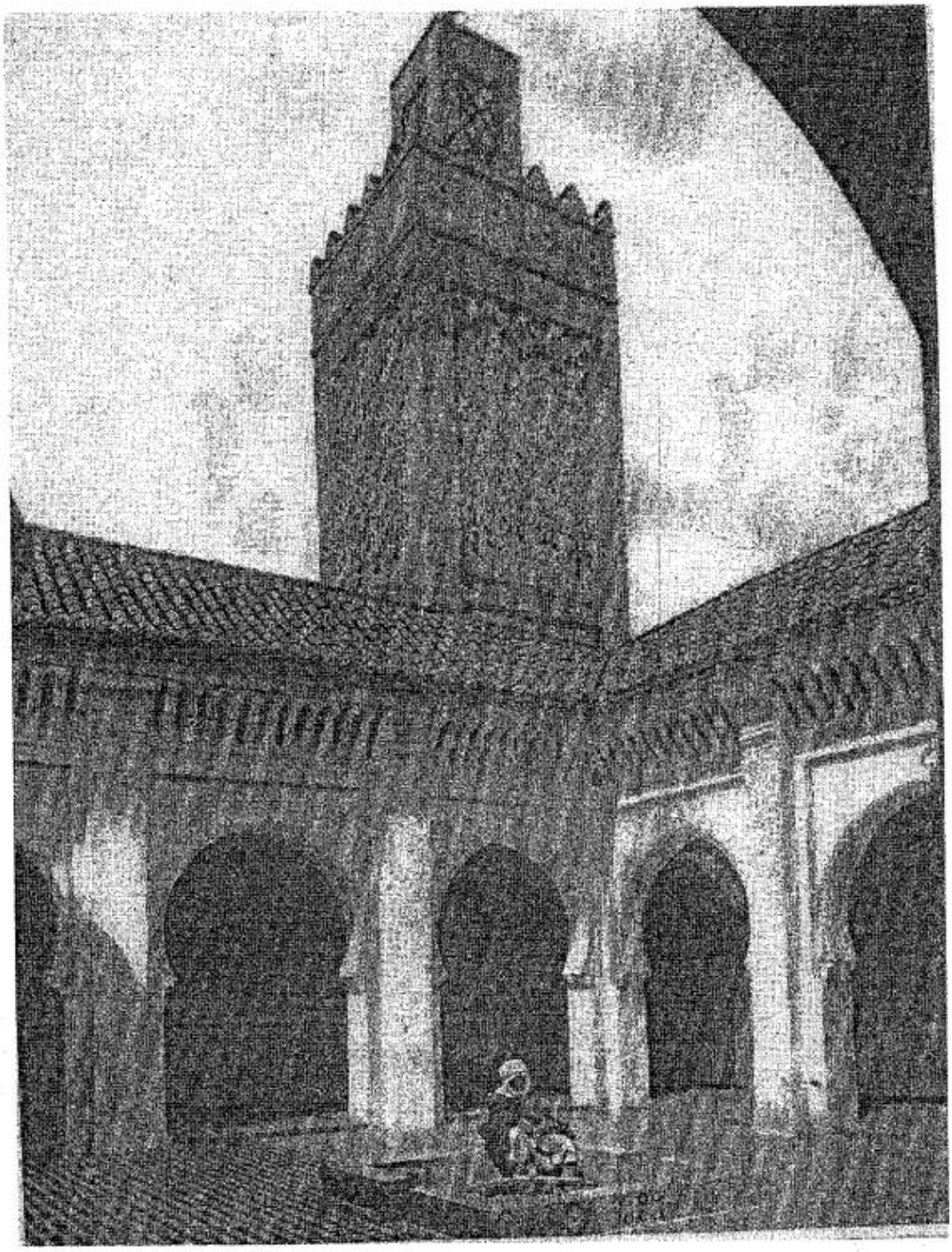

مسجد سيدي أبي مدين بالعباد

الملحقرقم6 :

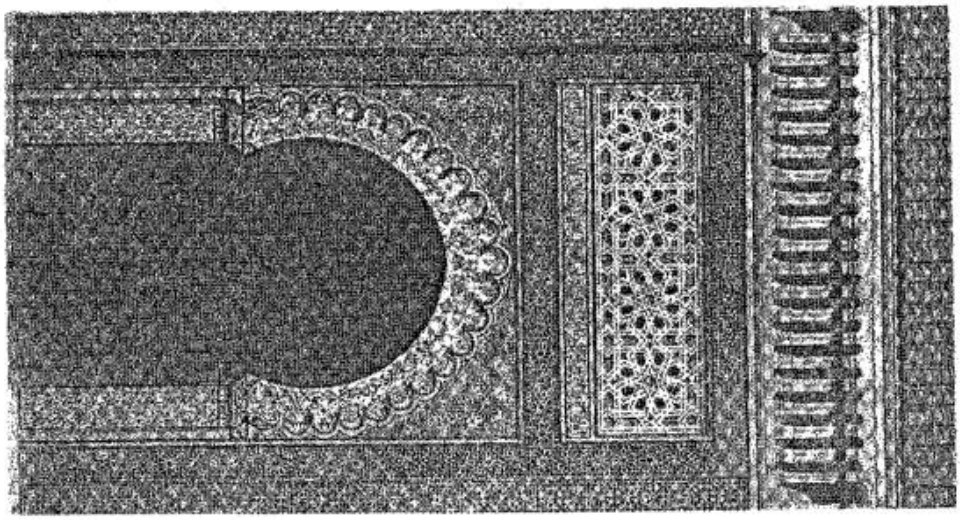

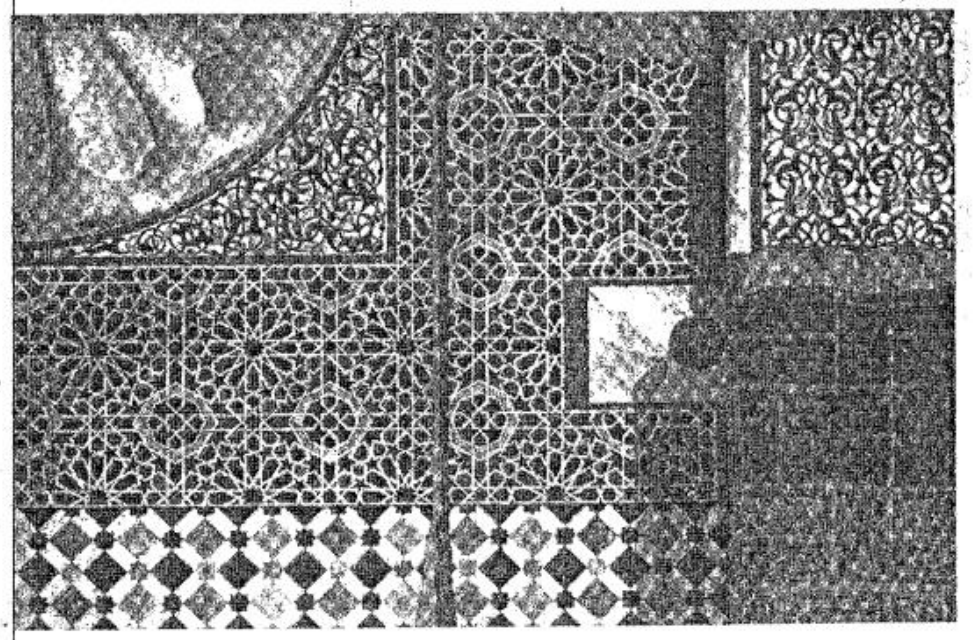

آثار المدرسة التاشفينية

الملحقرقم7 :

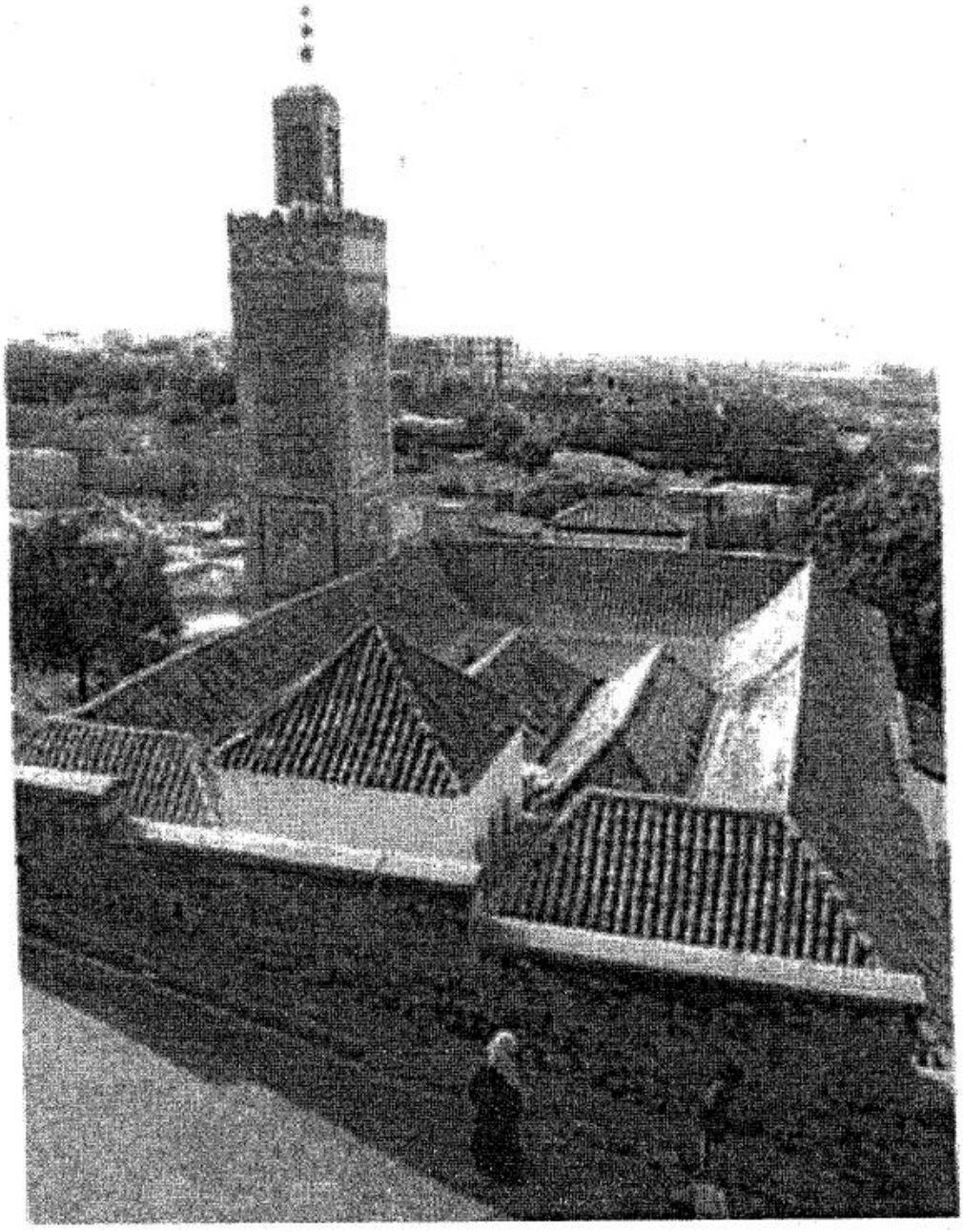

مسجد سيدي الحلوي

الفهرس

الفهرس

بسملة

إهداء

إهداء

مقدمة.....أ

مدخل: الأوضاع السياسية بالمغرب الأوسط وبلاد الشام قبل القرن السابع هجري.....01

الفصل الاول: المضاهر الحضارية للمغرب الاوسط في عهد الدولة الزيانية.....08

1- نشأة الدولة الزيانية.....09

2- نظام الحكم في عهد مؤسسها الاول يغمراسن بن زيان.....15

3- الاوضاع الاقتصادية في الدولة الزيانية.....20

أ/- الفلاحة.....20

ب/- الصناعة.....25

ج/- التجارة.....26

4/- المؤسسات الثقافية.....37

أ/- المساجد.....37

ب/- الكتاتيب.....40

ج/- الزوايا.....41

د/- المدارس.....42

الفصل الثاني: المظاهر الحضارية ببلاد الشام.....48

قيام دولة المماليك.....48

نظام الحكم.....51

الوضع الاقتصادي.....53

أ/- الفلاحة.....53

ب/- الصناعة.....53

ج/- التجارة.....55

الفصل الثالث: الصلات الحضارية بين المغرب الأوسط وبلاد الشام.....68

الصلات الثقافية.....69

-دور الرحلة بين المغرب الأوسط والشرق 72

-الصلات السياسية 72

-الصلات الدبلوماسية 72

-موقف الملك الناصر من سقوط تلمسان 73

-هدية ابن زيان الى الظاهر برقوق 74

-الصلات الاقتصادية والاجتماعية 75

-المبادلات التجارية 75

-هجرات السكان 76

-الحج والعمرة 78

-التبادل الثقافي واكتساب العلوم والمعارف 80

-نمادج من العلماء الرحالة 82

-تبادل الرحلات بين المشرق والمغرب 90

-دوافع استقطاب بلاد الشام للعلماء المغاربة 91

-خاتمة 97

الملاحق.....98

-بيبليوغرافيا 99

الفهرس 100

ملخص :

تهتم هده الدراسة بموضوع الصلات الحضارية بين المغرب الأوسط وبلاد الشام خلال عهد بني زيان والمماليك بالشام , أي من القرن 7هـ الى 9هـ الموافق لـ 13م الى 15م حيث عرفت الدولتين أثناء هده الفترة ازدهارا ثقافيا وحضاريا وانتشار المؤسسات التعليمية ,وبروز الكتير من العلماء الدين شدو الرحال الى بلاد الشام للأخد من العلماء الأكفاء ,فتوطدت الصلات بينهم التي شملت الصلات الساسية والاجتماعية والثقافية وكان لها آثار ايجابية على تطور الحياة الحضارية بالبلدين خلال العهد الزياني والمماليك .

الكلمات المفتاحية: الدولة الزيانية – المغرب الأوسط –المماليك –الشام –الحياة الحضارية والثقافية –التبادل العلمي

Résumé

Prendre soin de cette étude rubrique contient des liens entre urbain moyen, au Maroc et dans le Levant sous le règne des Mamelouks et Xian construit imposture, tout du siècle 7 à 9 h 13 m à 15 m où je savais que les deux au cours de cette période se sont épanouis sur le plan culturel et linguistique diversifiée et propagation des établissements d'enseignement et l'émergence de beaucoup de savants de religion au Levant backpacker traite prennent loin de scientifiques qualifiés, les liens entre eux qui inclus des liens politiques, sociaux et culturels et ont eu des effets positifs sur le développement de la vie culturelle pendant le Pacte Zayani et Mamelouks.

Mots–clés : État alzianih–Maroc–mamelouk–Sham–civilisationnel et culturels vie–échanges scientifiques

Summary

Take care this study topic links among urban middle Morocco and the Levant during the reign of the Mamluks and Xian built sham, any of the century 7 to 9 h 13 m to 15 m where I knew the two during this period flourished culturally and linguistically diverse and spread of educational institutions, and the emergence of lots of scholars of religion to the Levant backpacker deals take away from qualified scientists, linkages between them which included political, social and cultural links and have had positive effects on the development of cultural life during the Covenant Zayani and Mamluks.

Keywords: State alzianet-Morocco-Mamluk-Sham-civilizational and cultural life-scientific exchanges